روايات عبير



فيوليت وينسبير

خاتم الانتقام

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

THE LOVED AND THE FEARED

الناشرون

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

١ـ الغامض من جزيرة الليمون!

جلست دونا هدسون تتأمل ذلك المنظر الطبيعي الخلاب بدهشة وعجب شديدين، كانت سيارة الأجرة الصغيرة تتبع تلك الطرقات [illegible] صعوداً وهي بدت كأنها معلقة في الهواء، فوق مجموعة كبيرة من الصخور البحرية المتضخمة. لم يبد على السائق الإيطالي أي [illegible] أو ازعاج اطلاقاً، وكان يوجه اليها بين الحين والآخر ملاحظات لم تفهمها ولكنها تصورت بأنها تطمينات اليها.

شعرت دونا في تلك المناطق الجبلية الوعرة بأنها خلفت المدينة وراءها... في تلك المنحدرات المنخفضة لجنوب ايطاليا، حيث كروم العنب وحقول الزيتون واللوز وبساتين الفاكهة. اما في تلك المرتفعات، فلم تكن هناك سوى البرية والعظمة، احست دونا

بروعتها. . . وبالخوف منها. وفجأة أدار السائق وجهه الى الوراء وقال لها:

- فيللا امبراطوري.

توترت اعصابها بعض الشيء لمجرد علمها بأنها على وشك الوصول الى المكان الذي تقصده. لم تتوقع ان يكون منزل الممثلة المتقاعدة سيرافينا نيري في هذا الجزء من ايطاليا. كانت تتصوّره فيللا جميلة في ضواحي روما الغنية. . . قصراً فخماً تحيط به التماثيل البيضاء والنوافير المنعشة. وقالت لنفسها انّ منزلاً في هذه المنطقة الجبلية النائية لا بد أن يكون بدائياً. . . وربما رومنطيقياً.

تحوّل السائق بسرعة الى طريق جانبية أدّت الى بوابة حديدية كبيرة، محكمة الاقفال. خرج حارس يرتدي الثياب المدنية من منزل حجري صغير يقع بين مجموعة من الأشجار، وراح يتبادل الحديث مع سائق السيارة. مرّت بضع دقائق قبل ان يستدير السائق نحوها ويقول لها بلكنة ايطالية قوية:

- جواز السفر، يا آنسة! انه يريد رؤية الجواز اولاً!

- يريد التأكد من حقيقة هويتي!

أخرجت جواز السفر من حقيبتها وأعطته للسائق، الذي اعطاه بدوره الى الحارس. تأمّل الرجل الجواز بدقة وتمعّن، ثم طلب من الآنسة هدسون ان تسمح بالخروج من السيارة كي يتأكد نهائياً من انها هي الآنسة المنتظرة.

نزلت دونا وهي تشعر كأنها وصلت الى حدود دولة صغيرة تحكمها سيرافينا نيري، الممثلة السينمائية العالمية التي تقاعدت واختارت العزلة ضمن جدران قصر يحميها فيه حراسها الشخصيون. . . ليس فقط من الصحفيين والمصورين والفضوليين، ولكن ايضاً من خطر الاختطاف ودفع الفدية. اقنعت دونا نفسها بأن هؤلاء الاشخاص مضطرون لاتخاذ كافة التدابير الوقائية، ولكن هذا الحارس يرى بالتأكيد انه ليس معها اي مسدس او آلة تصوير. تفحصها بدقة

بالغة من رأسها حتى أخمص قدميها، ثم اعاد اليها جواز سفرها وتحدّث ثانية مع السائق وهو يلوّح بيديه بعصبية واضحة. فهمت دونا ماذا يجري بين الرجلين، لأنها سرعان ما شاهدت السائق يخرج من سيارته ويفتح صندوقها ثم يضع الحقائب على الارض ويمد يده طالباً اجرته. احست بأنّ الحارس سيسمح لها بدخول البوابة. . . ولكن سيراً على قدميها. يبدو أن لديه أوامر مشددة بألاّ يدخل احد. . .

اعطت السائق اجرته، فأطلق لسيارته العنان مخلفاً وراءه عاصفة من الغبار. وقفت دونا تراقب بهدوء، فيما الحارس يفتش حقيبتها تفتيشاً دقيقاً للغاية. اغمضت عينيها ورفعت وجهها نحو الشمس لتنعم بالدفء، وبتلك المسحة الخفيفة من اللون البرونزي على وجنتيها.

لم تكن ظروف عملها في تلك الفيللا مشجعة كثيراً، لا بل انها في بعض متطلباتها مزعجة ومثيرة للاشمئزاز. ولكن دونا كانت تتحرّق للوصول الى ايطاليا والغيبة بعض الوقت في مدنها وقراها الساحرة. حصلت على وظيفتها هذه، لأن والدها مصور سينمائي مشهور، وعمل بضع مرات بنجاح باهر في أفلام سيرافينا نيري. تذكرت سيرافينا اسم هدسون فحصلت دونا على وظيفة هامة، ألا وهي مساعدة الممثلة العالمية في كتابة مذكراتها.

كانت دونا تقوم بمثل هذه الأعمال سابقاً وتفضلها على الارتباط بوظيفة مكتبية دائمة. ولكنها تعرف ان لهذه المهام المؤقتة مشاكلها ومصاعبها. ساعدت مرة فكاهياً ذائع الصيت في كتابة قصة حياته، فلم تجد اي فكاهة ومرح في محاولاتها الدائبة والجاهدة للبقاء بعيدة عن مغازلته ويديه. ولكنها ستعمل هذه المرة مع امرأة اما هي فان احتمالات فقدانها لصبرها. . . اقل بكثير من اي وقت مضى.

اخذت حقيبة يدها من يد الحارس ولوّحت بها قائلة له كلمة الشكر الايطالية الجميلة التي تعرفها. حدّق بها برهة ثم انفرجت أساريره وانحنى لحمل الحقائب. اشار اليها بأن تتبعه، ففعلت ذلك

بدون تردد، وسارا على ممر ضيق بين صفين طويلين من الأشجار الباسقة. كانت العصافير تزقزق وتقفز على الأغصان بفرح ظاهر، مضيفة مزيداً من العزلة إلى هذه المنطقة النائية. كيف يكون شعور الانسان اذا كان غنياً وجميلاً وذا شهرة عالمية... ويعيش في خوف دائم من الاختطاف؟ هل تشعر سيرافينا بالاثارة من نوع ما وهي لم تعد تظهر على شاشة السينما، بل تعيش على المجد الماضي... وحيدة؟ وابتسمت دونا بمرح وصولهما الى باحة الفيلا:

ـ رائعة كأنها من صنع الخيال!

نظر اليها الحارس باستغراب وقال لها بالايطالية:

ـ عفواً يا آنسة؟

ابتسمت ثم أشارت بيدها الى الفيلا وردت عليه بلغته مازحة:

ـ انها جميلة جداً هذه القلعة الحصينة.

هز الحارس رأسه بدون ان تتغير ملامحه او ان يبتسم. تصورت دونا انه ربما كان انساناً طيب القلب، دمث الأخلاق، على الرغم من ذلك المسدس الكبير الذي يتدلى من حزامه. ثم قال لها، مستخدماً اللغتين معاً:

ـ هيا، يا آنسة، اتبعيني!

سارت وراءه باتجاه الباب الخشبي بدون ان تتفوه بكلمة واحدة. شد جرساً معدنياً الى جانب المدخل وانتظر حتى انفتحت طاقة صغيرة في الباب. هز الحارس رأسه للشخص الذي يقف في الداخل، ثم حياها بأدب بالغ وتركها مع حقائبها. ابتسمت دونا للعينين السوداوين اللتين كانتا تحدقان بها، وقالت:

ـ انا الآنسة هندسون. السيدة تيري بانتظاري.

فتح شاب وسيم الباب العريض محيياً باحترام، ثم حمل حقائبها وسار أمامها عبر القاعة الجميلة الباردة صعوداً الى قاعة الجلوس. توقف الشاب لحظة ثم طرق احد الأبواب المزدوجة وهو يتأمل وجهها وجسمها بشكل مثير. تظاهرت بأنها لا تأبه لنظراته، لأنها كانت

تشعر بأن سيرافينا التي تحيط نفسها بالرجال لا بد انها امرأة تحب ان تكون وحدها محور اهتمامهم واعجابهم. ومن المؤكد ان المغازلات امور غير مستحبة في هذا المنزل. هذا لا يهمها كثيراً، لأنها لم تلتق بعد الرجل الذي يزيد من سرعة خفقان قلبها او يلهب مشاعرها واحاسيسها.

ـ ادخل!

فتح الشاب باباً يؤدي الى غرفة كبيرة رائعة تجلس فيها سيدة بمفردها.

ـ الآنسة هندسون.

اعلن الشاب وصولها ثم انسحب بسرعة تاركاً الشابة الجميلة مع ربة عملها. تأملت كل منهما الأخرى بهدوء وروية... فتاة بريطانية نحيلة الجسم هادئة الملامح، وسيدة ايطالية فائقة الجمال ذات شعر اسود لامع وعينين خضراوين جذابتين وجسم يشع فتنة وكمالاً. كانت سيرافينا تقف قرب النافذة بأبهة وفخر... تجسد احلام الملايين من الرجال في جميع انحاء العالم. انها المرأة التي كان الرجال يشاهدونها بلهفة وسعادة... وحرقة، متمنين لأنفسهم لو ان زوجاتهم او صديقاتهم يشبهنها من حيث الجمال والاغراء. نظرت اليها وقالت بصوت ناعم ودافىء.

ـ اذن انت دونا!

هزت الشابة رأسها فمضت الى القول:

ـ كان والدك، يا دونا، صديقاً عزيزاً جداً. ومصوراً ناجحاً للغاية... فناناً الى درجة الابداع، كان يعرف كيف يصور لي اللقطات القريبة اذ كان يخفف كثيراً من بروز انفي الايطالي... ان كنت تعرفين ما اعنيه!

ابتسمت دونا وهي تلاحظ فجأة ان هذه السيدة اكثر انسانية مما بدت عليه في الوهلة الأولى. كانت تبتسم عندما قالت لها دونا:

ـ كان يتحدث عنك باستمرار، يا سيدة تيري. اعتبرك اكثر من

مرة انه كان يفضل العمل معك اكثر من غيرك، فلك اسلوب مميز وشخصية فذة في التمثيل.

ثم تنهدت واضافت قائلة بهدوء:

- حزنت كثيراً عندما لقي حتفه في ذلك الحريق البشع الذي التهم استوديوهات الشركة في لوس انجلوس لا شك انها خسارة فادحة ومؤلمة جداً بالنسبة اليك يا صغيرتي، وخاصة لأنك كنت فقدت امك اثناء طفولتك. انه القدر، ولا يمكننا تجنبه او تفاديه كما لو انه حلول الظلام او شروق الشمس. والآن يا عزيزتي، سوف تساعدينني كي اصبح كاتبة. انه دور جديد جداً بالنسبة الي، وسوف يساعدني على تمضية الوقت. اليس كذلك؟

ابتسمت دونا وهزت برأسها. مسكينة هذه المرأة! تملك مساحات شاسعة من الأراضي والحقول والبساتين، ولا تعرف كيف تتمتع بها. تلك الزهور الرائعة التي تنبت في كل مكان، تلك العصافير المحلقة التي تغني على رؤوس الأشجار وبين اغصانها... تلك الطرقات الصخرية والممرات الضيقة المتشعبة التي تؤدي الى مناطق جبلية ساحرة تطل على مياه البحر المهدئة للأعصاب!

ولكن سيرافينا زهرة طرية العود وليست احدى تلك النباتات البرية القوية. ومن المؤكد انه لم يخطر ببالها قط انه يمكنها ايجاد متعة كافية في الأمور البسيطة. عاشت طويلاً في الأضواء، وتريد ان تضع الآن في كتاب واحد ذكرياتها عن تلك الأيام... والليالي... الفاتنة والباهرة. تريد ان تذكر العالم بغرامياتها... بانتصاراتها... وبدموعها.

- هل تعتقدين انه بامكاننا القيام بعمل جيد معاً؟

وجهت سؤالها وهي تشير بيد جميلة الى مقعد وثير قريب منها.

جلست دونا بهدوء وقالت:

- آمل ذلك يا سيدتي. الفيلا جميلة للغاية وانا لدي شعور بأني سأتمتع بهذه البلاد الرائعة.

- كل من له قلب حنون ومشاعر حساسة يحب ايطاليا ويتمتع بها. سوف تناديني سيرافينا، كما يفعل المقيمون في الفيلا.

ثم سألتها بلهجة جادة:

- اخبريني، اليس لديك شاب يحرص على ابتعادك عنه؟ سيأخذ اعداد الكتاب فترة طويلة، فلدي معلومات كثيرة اريد ان اعطيك اياها. وانا لا اسمح لأي غريب بالحضور الى هنا، لزيارة اي من العاملين لدي.

- ليس لدي صديق في الوقت الحاضر... ليس بشكل دائم وثابت على الأقل. بامكانك اعتباري موظفة محترفة، وليس فتاة لا يهمها سوى الخروج مع الشبان والسعي للزواج.

- عظيم.

جلست سيرافينا بأناقتها المعهودة على كنبة مغطاة بجلد الحمار الوحشي. لا يمكن تقدير عمرها بأكثر من ثلاثين، ولكن دونا تعرف من والدها ان الممثلة الشهيرة تجاوزت الخامسة والأربعين. بشرتها ناعمة جداً، وعيناها لا اثر للتعب فيهما. وشفتاها تفيضان حيوية واغراء وعذوبة. ابتسمت سيرافينا وقالت لها:

- انك تجاملينني. هل ستصدقين كثيراً عندما اقول لك ان لدي ابناً في الخامسة والعشرين من عمره؟

ردت دونا بابتسامة خجولة، قائلة:

-- اعترفي لي انك سيدة جميلة جداً. الجمال الحقيقي لا يذبل، بل يزداد روعة وبهاء.

فضحكت سيرافينا وقالت:

- كمجوهرة نادرة او لوحة لأحد الفنانين المشهورين؟ اذا ولدت المرأة جميلة، فانها تعتني بجمالها دائماً كما تعتني بمجوهرة ثمينة. انا لا اخرج كثيراً الى الشمس، وقد تجد فتاة مثل حيويتك ونشاطك ان ذلك خطأ فادح وجسيم. كما اني لا آكل طعاماً يضر بصحتي او يزيد من وزني. انا امرأة دقيقة جداً يا دونا. كذلك يمكنني ان اكون مزعجة

جداً وقاسية إلى أبعد درجة، عندما يكون مزاجي سيئاً. هل تعتقدين أن أعصابك ستحتملني؟

ـ أنا لست زهرة ضعيفة، يا . . . سيرافينا.

انه اسم جميل، ولكن دونا شعرت بشيء من الخجل لمناداة ربة عملها باسمها الأول . . . وخاصة عندما تذكرت الشهرة اللامعة التي حققتها هذه الامرأة الثرية. وتذكرت دونا أيضاً أن سيرافينا انطلقت من أزقة صقلية لتصبح نجمة عالمية يسعى إلى الفوز بقلبها وبحبها بعض أشهر العازبين في العالم. ولكن سيرافينا تزوجت في الثامنة عشرة رجلاً يكبرها بسنوات عديدة. لم تعش معه سوى فترة قصيرة، أنجبت خلالها صبياً تولى الوالد تربيته عندما ذهبت هي في سبيلها سعياً وراء الشهرة والثروة. لم تعد إلى زوجها بعد ذلك الحين، ولأسباب غريبة وخاصة بها، وجدت من المناسب أن تظل متزوجة منه . . .

وكأنها تفضل أن يحبها الرجال عن بعد.

ـ لا، يا عزيزتي. فأنت شابة تملك ملامح قوية تعجبني إلى حد كبير. كما أنك لست من نوعية الأشخاص الذين يتصرفون بخنوع. أنا أكره وأحتقر الأشخاص الذين يلاطفونني كذباً وبهتاناً. أوه، نعم . . . أحب الناس الذين يعاملونني بإخلاص حقيقي. لدي حراس عديدون في هذا المكان. رأيت بعضهم وأنت في طريقك إلى هذه القاعة. أنت تعرفين يا دونا أني امرأة ثرية، ثمة رجال عصابات في هذه المرتفعات يتمنون اختطافي للحصول على فدية دسمة. حاولوا ذلك مرة! كنت متوجهة بالسيارة إلى نابولي لزيارة شقيقتي. فأحاطوا بالسيارة وهم يركبون دراجات نارية سريعة، ولكن لحسن الحظ، كان مرافقي الخاص معي فأنقذني من أولئك المجرمين القذرين الذين لا يعملون لكسب عيشهم بل ينقضون كالعقبان الجائعة على الذين عملوا جاهدين لتحقيق ما توصلوا إليه بنجاح وتفوق.

أسندت سيرافينا رأسها إلى وسادة ناعمة، وأغمضت عينيها ثم

مضت إلى القول:

ـ نعم، عملت في شبابي كالكلاب وسوف أذكر ذلك كله في مذكراتي. ستكون مذكرات مثيرة للبعض ومقززة للبعض الآخر، لأنها ستكشف شخصيات الأشخاص الذين عرفتهم على حقيقتها. لن تصابي بالملل يا مساعدتي البريطانية الشابة. ستجدين أموراً كثيرة ستسليك وتثير دهشتك، وربما ستحسدينني على ما مررت به عندما كنت مثلك في العشرينات من عمري. أخبريني، ألم تجدي بعد لنفسك حبيباً؟

فاجأتها صراحة السؤال، فاحمرت وجنتاها عندما أجابت بتلعثم:

ـ لا . . .

ـ كنت أعتقد أن جميع الفتيات البريطانيات متحررات إلى درجة بالغة، فلماذا تختلفين عن غيرك، يا دونا؟ ألم تلتقي رجلاً يثيرك إلى درجة الجنون؟ هل من المعقول أنك لا تزالين تحتفظين بتلك المثل العليا والتقاليد القديمة التي تجاوزها الزمن، كأنك تريدين صيانة نفسك حتى ليلة العرس؟

لم يعجب دونا ذلك النوع من التدخل السافر والقاسي في حياتها الخاصة، ولكنها شعرت بأن سيرافينا امرأة تعيش في وحدة قاتلة على الرغم من ثروتها الطائلة وحماية حراسها. ومن الواضح أنها بمجرد وجودها مع أنثى أخرى، شعرت برغبة قوية للثرثرة . . . كثيراً ما تؤدي ثرثرة النساء إلى مواضيع تتعلق بغرف النوم. أجابتها دونا بلهجة هادئة:

ـ لم ألتق بعد رجلاً أحسست بمثل هذه الرغبة نحوه. بالإضافة إلى أني كنت غارقة في العمل منذ تخرجي من كلية إدارة الأعمال.

ـ لديك ملامح غير عادية، مع أنه لا يمكن وصفك فعلاً بأنك جميلة. هذا اللون الذهبي في شعرك طبيعي، أليس كذلك؟ إني أسألك لأن حاجبيك سوداوان.

ـ هذا هو شكلي الطبيعي ولا أغيره لأي سبب من الأسباب.

- وهذا يثبت انك انسانة صادقة ومخلصة، وان لديك عقلاً راجحاً ومنطقياً. اعتقد ان الأمور بيننا ستجري على ما يرام، على الأقل في معظم الأحيان. هكذا كانت الأمور مع والدك. من المؤكد يا سنيوري انك تفتقدين كثيراً ذلك الرجل العظيم!

هزت دونا رأسها وقالت:

- كان ابي رجلاً متشدداً لا يعرف المراوغة او التراجع عن الآراء والمواقف. وربما لا شك فيه اني ابحث عن صفاته وخصائصه هذه . . . في الرجال الآخرين.

- هذا واقع لا بد من حصوله. انا احببت ابي كثيراً وسأذكر ذلك في كتابي. توفي وانا صغيرة السن، وتركت امي مهام تربيتي ورعايتي. براعم صقلية تتفتح بسرعة، وبعض الفتيات يتزوجن في سن مبكرة جداً . . . كما فعلت انا. كان زوجي رجلاً طيباً جداً، ولكن الحياة معه كانت مملة. عندما سنحت لي فرصة الاشتراك في مسابقة لاختيار اجمل فتاة، اغتنمتها . . .

توقفت سيرافينا لحظة ومدت يديها، فلمعت خواتمها الثمينة. ثم مضت الى القول:

- كانت تلك المسابقة بداية انطلاقي. فزت بها، فأعطتني احدى شركات السينما دوراً ثانوياً في فيلم عن حقول الأرز. اوه، كم كان ذلك الأمر مثيراً بالنسبة الي! كان تحولاً جذرياً عن حياة الفقر في ازقة صقلية. لم اتردد او اتقاعس . . . قررت استغلال تلك الثانية للانطلاق. وفعلاً، امسكت باطراف الحظ والشهرة، وتعلقت بها بكل قواي.

لم يكن جمالها وحده الذي سلب عقول رواد السينما. كانت تبعث حرارة خارج الشاشة الفضية، جعلت الرجال والنساء على حد سواء يحبونها ويعجبون بأفلامها. ثم عادت تسأل دونا:

- هل لديك اشقاء او شقيقات؟ كنت ووالدك تتحدثان عادة عن الافلام، ولم اعد اذكر ما اذا كان لديه اكثر من طفل واحد.

- لم يكن هناك غيري. كنت اتمنى دائماً لو ان لدي شقيقة ولكن والدي لم يتزوج بعد وفاة امي وكرس حياته لعمله.

- جميل ان يكون للانسان شقيقة. والآن، يا دونا، ما رأيك في ان تشاهدي مكان اقامتك وتستحمي قليلاً بعد رحلتك الطويلة هذه؟ هل اتيت بالطائرة الى روما؟

- لا، اتيت بالقطار السريع من باريس الى روما، وتمكنت بالتالي من التمتع بمناظر الألب الرائعة.

- يا لك من مخلوقة قوية وشجاعة! الم يكن القطار مكتظاً بالركاب كأعداد علب السردين؟ ماذا فعلت في روما؟

ابتسمت دونا وقالت:

- ذهبت الى نافورة ترافي ورميت فيها قطعة نقود معدنية. الا يقولون ان الانسان يحقق بذلك امنية، وخاصة اذا كان يقوم برحلته الأولى الى روما؟

- اوه! اذن انت ايضاً تعتقدين بمثل هذه الخرافات الغريبة! انا فعلت مثلك، يا عزيزتي، وحققت امنيتي. ماذا كانت امنيتك يا دونا؟ لا لتربحي مباراة في الجمال حسبما اعتقد! ربما للقاء رجل يهز الأرض من تحت قدميك، اليس كذلك؟

رفضت دونا الاجابة عن هذا السؤال. فمع انها لم تطلب اي مغامرة عاطفية او لقاء في احلامها، الا انها اغمضت عينيها بقوة عندما رمت القطعة النقدية وتمنت ان تمضي وقتاً سعيداً وممتعاً في ايطاليا. وسمعت سيرافينا تقول بلهجة شاعرية:

- روما اجمل مدينة في العالم. اجلس السعادة في احد مقاهي ارصفتها وترقب الناس على اختلاف ميولهم ومشاربهم. هل امضيت هناك فترة كافية لرؤية الملعب الدائري، والقصر الكبير؟

- امضيت نهاراً وليلة، فشاهدت مغيب الشمس وشروقها.

تذكرت دونا كيف استأجرت عربة وذهبت لرؤية الملعب الروماني القديم في ضوء القمر الساطع، وكيف انتبهت فجأة وهي تسير

وحدها الى ان شخصاً يتبعها. خافت لانها وحدها في مدينة غريبة. استدارت بسرعة لتركض نحو العربة المتوقفة على بعد عشرات الامتار منها، فاصطدمت برجل طويل القامة قال لها:

ـ ماذا تفعل فتاة بريطانية مثلك في مكان كهذا؟ هل تسمعين زئير الأسود التي كانت تطلق قديماً من اقفاصها لتمزق احشاء المساكين الذين كانوا يرمون اليها؟

ذهلت دونا لدرجة انها لم تتمكن من الاجابة او التعليق. وكانت مذعورة الى حد لم تلاحظ معه الا بعد لحظات طويلة مؤلمة انها شاهدت هذا الرجل قبلاً في الفندق الذي تقيم فيه. تذكرت انه كان يجلس الى طاولة تبعد عنها بضعة امتار اثناء تناول العشاء. وما لفت انتباهها آنذاك انه يضع حلقاً ذهبياً صغيراً في اذنه اليسرى. وعاد يسألها:

ـ لماذا تأتين الى مكان كهذا، ما لم تكوني راغبة في العودة الى الماضي البعيد؟ هل تسمعين زئير الأسود وضجيج الحشود الغفيرة؟

شعرت برغبة قوية للهرب نحو العربة والسائق الذي ينتظرها. الا ان شيئاً ما في ذلك الايطالي الغريب وفي ملاحظاته سمرها في مكانها. . . شيئاً بالنسبة الى نظراته وملامحه ايقظ خيالها وجعلها تدرك ان الوجه اللاتيني الحقيقي لا يتبدل ويتغير مهما مر عليه من عهود واجيال. انه ايطالي من مواليد الربع الثاني للقرن العشرين، ولكن وجهه يبدو وكأنه خارج لتوه من لوحة رسمت في عصور النهضة. وعلى رغم مخاوفها، شعرت دونا باحساس غريب تجاه هذا الاسمر الغريب. كانت عيناه الخضراوان تجذبانها وتثيران في جسمها رعشة لم تعرف لها سبباً.

ـ نعم، ايتها الفتاة البريطانية الشقراء، انتبهي حتى يجعلك تدركين حقائق الماضي وروعته. تتركين شعرك الذهبي ينسدل على كتفيك كسنابل القمح الناضجة، فيتأملك المصارعون الاشداء باعجاب قبل ان تنقض الأسود لتنهش جسدك الطري الناعم.

دبت القشعريرة في اطرافها وهي تتخيل تلك الصورة الوحشية التي رسمها لها. وسألته بانزعاج بالغ:

ـ وانت؟ ماذا كنت؟ احد اولئك الرومان القساة الذين كانوا يمتعون انظارهم بتلك المشاهد الدموية الوحشية؟

ـ انا كنت مصارعاً من جزيرة صقلية. في الليالي التي كانت تسبق احتفالات الدم والبربرية ويحضرها الاباطرة بانفسهم، كانوا يمنحون المصارعين رغباتهم الاخيرة . . . فتيات من بين الأسيرات العذارى. لذلك التقينا للمرة الأولى، أليس كذلك؟

اعجبها بقدر ما ازعجها واثار اشمئزازها. كانت تغطي وجهه القاسي الجذاب مسحة قوية من الألم. ابتسم وقال لها:

ـ من المحتمل جداً ان تلتقي شابة بريطانية عصرية مثلك بأنها تؤمن بعودة الروح.

شعرت ان نظراته الخافتة تصل الى صميمها واعماق تفكيرها بشكل لم تسمح به قبلاً لأي غريب او حتى قريب. احست بالخوف فقالت له انها لم تفكر قط بهذا الموضوع، ثم ركضت نحو العربة. خشيت ان يلحق بها ذلك الشاب اللاتيني . . . المميز، ولكنه لم يفعل ذلك. عادت الى الفندق، فاكتشفت ان حفلة راقصة تقام هناك. قبلت الانضمام اليها، لانها لن تمضي سوى ليلة واحدة في روما. اعطاها شاب قناعاً ذهبياً، لان الجميع مقنعون. احست بيد تمسك بخصرها وبشخص مقنع يقول لها بصوت خافت:

ـ هل ترقصين معي، يا آنسة؟

واجهها مرة اخرى رجل طويل القامة يرتدي سترة داكنة، واحست ثانية بمشاعر الخوف والخجل. عرفته لتوها، ولكنها شعرت انه لن يدعها تفلت من يديه مرة اخرى. امسك بمعصمها بقوة وقال:

ـ تعالي! قد لا تكون القطعة الموسيقية هذه مألوفة لديك، ولكنها تعزف الليلة تخليداً لذكرى ايطالي شهير ذهب الى اميركا قبل فترة طويلة واصبح محور الاحلام السرية لجميع النساء.

لم تقل له ان اسم المقطوعة هو عشيق الأحلام. ظل يراقصها حتى فرغت الحلبة من الراقصين وبدأ افراد الفرقة الموسيقية يجمعون آلاتهم. توجها الى الشرفة وراحا يتحدثان بهدوء وروية. كان يعرف الكثير عن ايطاليا فأصغت اليه بانتباه كلي وكأنها في حلم. لم يذكر اي منهما اسمه للآخر. ولكنه دعاها الى تناول الفطور معه. وعند افتراقهما، قبّل يدها وشكرها على تلك السهرة الجميلة.

لم يكن موجوداً في قاعة الطعام صباح اليوم التالي، ولكنها وجدت على طاولتها وردة بيضاء ورسالة مغلقة. فضّتها بيدين مرتجفتين وقرأت محتوياتها بتمعن:

ـ نحن نقول في ايطاليا، الى اللقاء قريباً. ربما تمكنا يوماً ما من الرقص معاً ثانية، وربما بدون اقنعة.

لم تكن الرسالة القصيرة موقعة بأي اسم، ولكن دونا علمت ماذا [illegible]

[illegible]

يترك لها كلمة وداع حقيقية.

ـ وكيف وجدت روما، يا دونا؟

استفاقت من ذعرها واحلامها، ثم نظرت باعتذار الى سيرافينا واجابتها بارتباك ظاهر:

ـ اوه... انها جميلة... رائعة، وكذلك حزينة الى حد ما.

ابتسمت الممثلة القديرة وقالت:

ـ انت حقاً ابنة ابيك. اذهبي الآن مع الريكو ليدلك على شقتك. ستتناول طعام العشاء في تمام الثامنة.

لحقت دونا بالمساعد الشاب وهي تتساءل عما اذا كان ابن سيرافينا يعيش في الفيللا. تحدثت سيرافينا عن الاشخاص الذين يعيشون معها. ربما كانت تعني وجود ضيوف... وهم الآن ذاهبون، بعكس الضيوف البريطانيين الذين يمضون مثل هذا الوقت في ممارسة لعبة كرة المضرب، او التحلق حول بركة السباحة اذا كانت مضيفتهم

تملك واحدة.

عندما تركها الريكو في غرفتها واغلق الباب وراءه، اخذت دونا تتأمل باعجاب بالغ السجادة السميكة التي تغطي الارضية الخشبية... والمفروشات الأنيقة الجميلة، ومصابيح الزيت النحاسية الرائعة التي تستخدم عوضاً عن الكهرباء. شعرت دونا بسرور عارم لأنها لم تعمل من قبل ابداً في مكان مثير وجذاب كهذا.

خرجت الى شرفتها وراحت تحدق بتلك المناظر الجبلية الخلابة. هذه هي قلعة سيرافينا تحكمها كاحدى اميرات القرون الوسطى. انها امرأة مثيرة، ومن المؤكد ان مذكراتها ستكون مثلها. شعرت دونا بضرورة قاطعة انها ستستمتع بعملها في ايطاليا، بالرغم من تلك الحادثة [illegible]ها في روما. وضعت يدها على عنقها وازداد خفقان قلبها [illegible] تذكرت ذلك الوجه اللاتيني القوي والعينين الخضراوين. لم [illegible]

من يكون هذا الرجل، وهل ستكتب [illegible] كأنها تعرفه [illegible] من صقلية، جزيرة الليمون... وحوادث الثأر والانتقام.

٢ـ رقته تذيبها!

التقت دونا ذلك المساء عدداً من الأشخاص الآخرين الذين يقيمون في الفيلا. وكان بينهم، كما توقعت، ضيوف كثيرون. لم يعرها احد اهتماماً يذكر عندما دخلت القاعة، لأنهم كانوا غارقين في ثرثرتهم عن اصدقاء أو اعداء مشتركين. ومع أن دونا تعرف الايطالية الى حدّ ما، الأ أنها شعرت بالضياع بينهم.

تقدّم نحوها شاب فعلمت على الفور أنه ابن سيرافينا، عيناه خضراوان جميلتان، ووجهه لاتيني وسيم للغاية وابتسامته جذابة مغرية. الأ أن نظرة دونا اليه كانت تختلف عن بقية الفتيات، من حيث أنها اكثر اهتماماً بتحليل شخصيته. انه ابن سيرافينا التي تركته مع زوجها، فيما كانت تسعى الى الشهرة والثروة دهشة العالم.

وعندما أصبحت تتمتع بشهرة عالمية وثروة طائلة، اختار ابنها الانتقال الى قصرها.

لم ترد دونا على ابتسامته الدافئة بالمثل، بل وجهت اليه نظرة عادية، لا بل باردة. انه يعرف أنها سكرتيرة امه، وربما افترض بأنّ توقعها اليه جزء من مهمتها ووظيفتها. تأملها بشخص بالغ، مع أنها كانت تلك البساطة بعينيها فيما لو قيست بالنساء الاخريات، وابتسم لها بطريقة توحي بأنه لم يلقَ طوال حياته مقاومة كبيرة من اية فتاة. وقال لها:

ـ يا له من شعر جميل! ويا لها من بشرة رقيقة ناعمة تشجع على اللمس!

ردّت عليه بسرعة وحزم قائلة:

ـ المسني، يا سيد تيري، وسأصفعك على وجهك. ستتألم انت وسأخسر انا على الأرجح وظيفة جيدة جداً.

وضع يده على خده وكأنه يحذرها من أنه سيداعب وجنتيها يوماً ولن تصفعه، وقال:

ـ اوه! انك فتاة حادّة الطباع وعصبية المزاج على الرغم من برودتك البريطانية! ماذا تشربين يا آنسة هندسون؟ أتصور أنّ عليّ التصرف معك بطريقة رسمية الى ان احصل على موافقتك بأن نصبح صديقين؟

تذكّرت ملاحظات الايطالي الآخر الذي لم تتمكن بعد من نسيانه، وقالت بحدة:

ـ انتم الرجال الايطاليون واثقون جداً من انفسكم، أليس كذلك؟ أظن ان ذلك يعود الى طريقة تربيتكم منذ الصغر، والى معاملتكم كأسياد من جانب قريباتكم.

ـ الا تعتقدين انه يجب تدليل الفتيان الصغار؟

ـ في بلادي، يا سيد تيري، يعامل الصبي كالبنت تماماً. وفي بلادي ايضاً، لا يغرس أحد في عقول الفتية الصغار ان الفتيات

سيقعن بحبهم من النظرة الأولى وانهن على استعداد لأن يصبحن مستعبدات لهم مدى الحياة.

شع في عينيه الخضراوين بريق تحدٍّ زاد من جاذبيتها وقدرتها على الاغراء. وقال بتعجب بالغ:

- ابوا! ألا تعتقدين بامكانية الحب من أول نظرة؟ غريب امرك يا آنسة! فالفتاة البريطانية تأتي عادة الى ايطاليا بحثاً عن مغامرة عاطفية دافئة لا تجدها في بلادها الصناعية الباردة.

تظاهرت بعدم الاكتراث، وقالت له ببرودة اعصاب ملفتة:

- أنا، يا سيد، اتيت الى ايطاليا لأعمل. واذا كانت دعوتك لا تزال قائمة، فاني أفضل عصير البرتقال. انا مجرد سكرتيرة جيدة تتمتع بعملها الى درجة كبيرة.

- لست متأكداً من ذلك. فالقلب يكون راكداً احياناً لانه لا يجد من يحث فيه. وقد تجدين قريباً ان الجو الدافىء في بلادنا سوف يذيب حبيبات الثلج التي تحيط بقلبك.

سأحضر لك العصير، فلا تذهبي!

ابتسمت له بطريقة ساخرة وقالت:

- لن تتمكن من حملي على الهرب، يا سيد، فأنت لا تغريني بما فيه الكفاية.

قطب حاجبه استياء ثم رفع رأسه بعنجهية وعنفوان وتوجه الى الجانب الآخر من القاعة. قالت دونا لنفسها ان هذا الشاب الوسيم واثق جداً من قدرته على الفوز بقلوب العشرات من الفتيات، بحيث أنه لن يأبه لرفض سكرتيرة باردة مثلها. انه جذاب جداً ويعرف ذلك. ولكن دونا لم تكن تنوي ابداً ان تعرّض وظيفتها للخطر بتقبّل مغازلته ومداعباته... انها تعلم ان سيرافينا سيدة تحب السيطرة والتملك، ومن المؤكد انها لن تفرح بأن ابنها يولي اهتماماً خاصاً لفتاة تعمل في خدمتها.

تطلّعت دونا حولها وافترضت ان سيرافينا تنتظر تجمّع ضيوفها قبل

ان تدخل بأبهة وعظمة، وهي تبدو اكثر جمالاً وجاذبية من اجمل ضيفة لديها. وحلّت ربة القصر في تلك اللحظة بالذات. كانت ترتدي ثوباً فضياً علّاقاً وتتدلى على صدرها قلادة من الاحجار الكريمة الثمينة التي تشع كالنجوم الساطعة. تنهد الجميع اعجاباً... ولكن دونا حبست انفاسها لسبب مختلف تماماً.

كان يتبع سيرافينا رجل طويل القامة يرتدي سترة داكنة. عرفته دونا فوراً من ملامح وجهه القاسية، وقامته المشوقة، وعينيه المتغطرسة. عكست عيناها نظرات الدهشة والصدمة ذاتها التي احست بها قرب ذلك الملعب الروماني القديم في روما. شعرت برغبة يائسة للهرب قبل ان يراها ذلك الرجل. بدأت في السير نحو مرافقيها، ولكنّ شخصاً وضع كوباً بارداً في يدها وهو يقول مبتسماً:

- أحبس انفاسي دائماً عندما أتأمل جمالها... وانا ابنها. عندما انظر اليها اجد من الصعوبة بمكان ان اتقبلها قادرة على الحب كأي انسان آخر على وجه الأرض. ومع ذلك فانا برهان ثابت على انها فعلاً احبت في وقت ما. هل يعجبك العصير؟

شربت دونا كمية كبيرة لأن حلقها جفّ الى درجة مؤلمة. تصوّرت عندما تركت روما انها لن تشاهد ابداً ذلك الأسمر الغريب الذي حدّق اليها بمثل تلك الطريقة المتهجمة. ولكنه هنا... ولا يزال يلمع في اذنه ذلك الخاتم الذهبي الذي يبرق قرب شعره الأسود الجميل. لم تتمكن، عندما بدأت نظراته تتفحص وجوه الموجودين، الا ان تسأل ابن سيرافينا:

- من هو هذا الرجل؟

- انه لورنزو، ريك لورنزو، الذي يحسده الرجال في ايطاليا والعالم لانه يحظى بالمنزلة اللائقة عند... سيرافينا. انها تعتمد عليه اكثر من اي رجل آخر، حتى من مستشارها المالي أو كاتبها. انه الحارس الشخصي والخاص لأمي.

- هل تعني انه... انه يعيش هنا... في الفيلا؟

- طبعاً، مع أنه أمضى الأسبوع الثالث في روما للقيام ببعض الأعمال الخاصة. كانت الفيلا في غيابه قلعة حصينة لا يدخلها أو يخرج منها أحد.

ثم أطلق ضحكة خبيثة صغيرة وأضاف قائلاً:

- تشعر سيرافينا براحة بال أكبر وبتوتر أعصاب أقل، عندما يكون ريك هنا لحمايتها والاهتمام بها. انها تعتقد اعتقاداً راسخاً بأنها ليست في أمان إلا بوجود ريك. وجزءاً من فكرة أن ابنها قادر على حمايتها... وربما كانت على حق في ذلك، لأن ابنها ليس قاتلاً مأجوراً محترفاً.

- وهل هو قاتل مأجور؟

لاحظت دونا وهي توجه سؤالها هذا ان العينين القاسيتين تحدقان فجأة بوجهها. ولكن نظرة التعرف التي توقعتها لم تكن سوى نظرة عابرة غير عابئة بوجودها إلا عرضاً. اكتفى الرجل بتأمل ملامحها ثم حوّل نظراته الى شخص آخر.

- نعم، هذه هي مواصفاته بالتحديد... قاتل محترف يعمل في خدمة أمي.

حبست دونا أنفاسها بقوة، فتأملتها العينان الخضراوان الجميلتان باهتمام وسمعت صاحبهما يقول لها بهدوء:

- غاب اللون تماماً من وجهك، يا آنسة هندرسون! ولكن لا تخافي من لورينزو أو تدعيه يقلقك. يمكنك تجاهله كلياً. انه يتناول العشاء معنا، لأن أمي تشعر بالطمأنينة وراحة البال عندما يكون قريباً. انها تشعر بخوف دائم ورعب من احتمال اختطافها، ووقوعها بين أيدي عصابة ثورية. ولا تثق بأحد اطلاقاً كما تثق بحارسها الصقلي الذي تعطيه أجراً باهظاً. أنقذها قبل بضعة أشهر عندما تلقى عنها بصدره طعنة خنجر حاد. شعر بالتأكيد بآلام مبرّحة ولكنه قاد سيارتها على هذه الطرقات الجبلية الملتوية بسرعة جنونية، بعيداً عن عصابة الدراجات النارية. أنا أشك كثيراً في أن هذا الرجل أبدى اهتمام بأيّ

امرأة باستثناء سيرافينا.

شدّت دونا بيدها على كوب العصير وكانت تحدّث نفسها. نعم... لاحظت تلك الليلة في روما أن هذا الرجل جذاباً قاسياً جداً. وها هو الآن... رجل خارج المجتمع يقبله الجميع كانسان وثيق الصلة بأشهر نساء المجتمع، يعيش حياة الخطر، ولكنّ أعصابه ثابتة وراسخة كالجبال.

- غريب أمر هذا الرجل العنيف... كيف يتعلّق بمثل هذه السيدة الناعمة.

ردّت دونا على الأمير بقولها:

- من المؤكد أنك تشعر بالامتنان له لأنه أنقذ والدتك من أيدي عصابة من الأشرار؟

- انه يقبض أجراً مرتفعاً جداً للقيام بمثل هذه المهام ولمواجهة مثل هذه المجازفات. ولكني سأقتله بهاتين اليدين اذا تبيّن لي أن الاشاعة صحيحة!

لم تتمكّن دونا من تجاهل هذه الملاحظات، فسألته بتردد:

- أي... أي اشاعة؟

- أنه على علاقة بسيرافينا!

اتسعت عيناها دهشة واستغراباً وحوّلت نظرها نحو ذلك القاتل المحترف. بدا غير مهتم بأحد إلا بتلك السيدة الأنيقة التي ترتدي عباءة فضية رائعة. ومع أن سيرافينا سيدة طويلة جداً بالنسبة الى النساء، إلا أن الرجل كان لا يزال أطول منها بمقدار كبير. عادت تنظر الى الشاب الوسيم قربها فرأت أن نظرات الحسد والحقد لم تزل في عينيه، وأن أعصابه لا تزال متوترة الى درجة الانفجار.

توجه الجميع الى مائدة الطعام الضخمة التي تصطف عليها أثمن الأواني الفضية والزجاجية، وتنيرها أجمل الثريات الأثرية الرائعة. كان الأمير نيري يجلس قربها ويبدو أكثر جاذبية ووسامة من جميع الرجال الآخرين. إلا أنه كان عليها ان تتوخّى الحذر في تصرفاتها

معه. وخاصة ان امه نظرت مرة او مرتين بعينين قاسيتين نحوهما عندما رأتهما يتسامران ويضحكان.

إلاّ أنّ اهتمام دونا كان مركزاً على الرجل الذي يجلس قرب سيرافينا. لم يشترك الاّ نادراً في الاحاديث الشيقة والمثيرة التي كان يتبادلها الضيوف فيما بينهم ومع مضيفتهم الجميلة. كان يأكل طعامه بهدوء بالغ ويبدو متحفزاً متأهباً... ومتيقظاً لكل حركة. ويبدو واضحاً أنّ سيرافينا تنسى جميع النساء الأخريات عندما تكون قربه. تألمت دونا وشعرت بأنّ كرامتها جرحت لأنه لا ينظر اليها الاّ بشكل عابر، بالرغم مما قاله لها في روما أثناء الرقص وبعده. تحوّل سحره الذي تتذكره بوضوح الى برودة مزعجة. وأرادت دونا ان تكرهه لأنه يتجاهلها، وكأنه لم يطوقها ابداً بذراعيه لساعات طويلة وهما يرقصان على انغام مقطوعات موسيقية حالمة... أو لم يترك لها تلك الوردة البيضاء!

قررت ان ترمي الوردة في سلة المهملات، عندما تعود الى غرفتها في وقت لاحق. وتساءلت عما اذا كانت سيرافينا تدرك بأنّ حارسها الأمين كان يتصرّف في روما كبقية شبابها... يغازل نساء غيرها. انه يبدو هنا غير مكترث اطلاقاً ببقية النساء. ولكنّ غيرة سيرافينا قد تكون قوية جداً. ولتمنعه من الاعتراف علناً بأنه يعرف سكرتيرتها.

وتذكرت دونا بعض القصص التي سمعتها عن سيرافينا، ومنها أنّ النجمة العالمية لم تجعل منافسيها يتألمون فحسب ولكنها عملت أيضاً في بعض الاحيان على تحطيم مراكزهم ومستقبلهم.

حوّلت دونا نظرها عن ذلك الوجه الأسمر اللامبالي الى تلك السيدة، التي يمكنها ان تجد دائماً رجالاً يركعون أمام جمالها وسحرها... ويحبون قساوتها وتحكمها بقدر ما يحبون روعتها وقوة شخصيتها الجذابة. كان الطعام شهياً للغاية والخدمة ممتازة، إلاّ أنّ دونا اكتفت بالقليل وأمضت وقتها بالتحدث مع انتوني نيري. ومع ذلك، ظلّ السؤال الكبير يعذبها ويؤلمها... هل ريك لوردني على علاقة بسيرافينا؟

سألها رجل أنيق المظهر بلهجة هادئة:

ـ هل تعملين في السينما، أيتها الجميلة، أم انك تشتركين في أفلام تلفزيونية دعائية؟

نظرت دونا الى عينيه مباشرة وقالت له بهدوء قاتل:

ـ انا هنا لمساعدة السيدة نيري في كتابة مذكراتها. كنت اعتقد ان الجميع يعلمون انني سكرتيرتها.

ضحك الرجل وقال بخبث ظاهر:

ـ سكرتيرة؟ لا شك في ان مضيفتنا الكريمة تمارس الديمقراطية لأنها تدعو موظفيها الى تناول العشاء معها! من المؤكد ان لذلك علاقة بالتأثيرات الخارجية على سياستنا هذه الأيام. أم انكم تعتقدون ان السبب عائد الى نخوة المافيا؟

ضحك بعض الذين كانوا يجلسون قرب هذا الشخص الخبيث، إلاّ أنّ لوردني نظر اليه فجأة بطريقة أفزعت دونا نفسها. لم يقل شيئاً، ولكن ذلك الشخص المخنث ارتبك الى درجة كبيرة بحيث ان كوب العصير أفلت من يده المرتجفة فتحطم على الأرض بعد ان تناثرت محتوياته على الطاولة... أسرع خادم للاهتمام بالأمر، فيما انحنت سيرافينا قليلاً نحو ريك لوردني وهمست شيئاً في اذنه. ابتسم الرجل بسخرية واضحة، وشعرت دونا بأنّ سيرافينا لن تتردّد في طرد جميع ضيوفها من الفيللا اذا تعكر مزاجها. إلاّ أنّ الرجل الجالس قربها هو على ما يبدو، جزء لا يتجزأ منها ومن القصر. انه كل شيء، بالنسبة اليها. أما هؤلاء الضيوف الذين دعتهم الى الفيللا لتسليتها والترفيه عنها، فليسوا سوى دمى تحركهم بأصابع يديها وترميهم خارجاً ساعة تشاء. نظرت سيرافينا الى الرجل الأنيق المرتبك وخاطبته باسمه:

ـ يا عزيزي كورتي، يجب ان تكون حذراً جداً عندما تقول شيئاً ما أمام ريك. فجدته، كما تعلم، كانت ساحرة صقلية وعلمته بعض

حيلها والعابها. كما ان الصحك يعدم ذكر الثالها امامه لانه والعصابة عدوان لدودان. وقد يدق عنقك اذا شعر بأنك تشير من قريب او بعيد الى اي ارتباط له مع هذه المنظمة الشريرة. ان ريك يا عزيزي كارلو، هو السيد المهذب والراقي الوحيد الذي التقيته في حياتي.

احمر وجه كارلو كورتي وارتعشت شفتاه. وقالت دونا لنفسها انه اذا كان كورتي أحد أبناء العائلات الراقية، فلا عجب في أن تختار سيرافينا الى جانبها مسلحاً صقلياً يناسبها من حيث القساوة... والاخلاص. وأحست دونا بقشعريرة خفيفة عندما شاهدت أصابع سيرافينا تداعب يد لورديتي وكأنها تقول انه لها... لها وحدها!

أحضر الخادم الحلويات المغطاة بطبقة سميكة من القشدة الشهية، فامتنعت معظم السيدات حتى عن النظر اليها... تجنباً للسمنة وحفاظاً على الرشاقة. إلا أن دونا غرزت ملعقتها في القشدة والفاكهة اللذيذة، وراحت تأكل بشهية كبيرة. ضحك انطوني وقال لها:

- انه لأمر منعش حقاً ان تشاهد امرأة لا تخشى التمتع بالأكل.

ابتسمت وقالت ممازحة:

- الم تسمع ان السكرتيرات يتضورن جوعاً عندما تقل الوظائف ولا تنخفض ايجارات البيوت؟ في اي حال، أنا أحب هذا النوع من الحلويات كثيراً.

- هذه القشدة مصنوعة من حليب ابقارنا. تملك امي مزرعة كبيرة في الوادي، ويجب ان آخذك اليها مرة لتشاهدي كافة القطعان الموجودة هناك. هل تركبين الخيل... يا دونا؟

لم يأخذ سوى فترة قبل ان يبدأ بمناداتها على هذا النحو. ولكن، ماذا بامكانها ان تفعل؟ لديه سحر أمه وجاذبيتها، ولكنه لا يدرك انه قد يفقدها وظيفتها اذا خصّها بأي اهتمام زائد. فذكرته بسبب وجودها في الفيللا:

- انا هنا لأعمل. ولست ضيفة مقيمة، وعليك الادراك أن

والدتك لن توافق على قيام... قيام صداقة بيننا. لن توافق ذلك السيد كورتي على ما قاله قبل قليل... يجب أن أتناول طعامي مع بقية العاملين هنا.

- ومع من سأتحدث اثناء العشاء؟ مع بعض المتزوجات المملات، اللواتي يتحدثن عن علاقات مع شبان قد أصبحوا أولادهن؟

- يسرني جداً انك لم تصنفني معهن. أرجوك الا توجه اليّ عناية اكثر من المتعارف عليه، والا تسببت في فقداني وظيفة أحبها، واسعى الى الاحتفاظ بها حتى النهاية. لم أعمل في ايطاليا ابداً من قبل، وخاصة مع شخص مثل والدتك. أنا اعرف انها جادة الطباع وانها بدأت تتساءل بالفعل عما اذا كنت اغازلك أم لا، يا سيد نيري.

- الا تغازلينني الآن، يا آنسة؟ كنت آمل ذلك. اوه، كيف يتحول بريق العينين فجأة الى نظرات جافة وقاسية! يا نعومة بشرتك ورقتها! انها تشبه تلك القشدة التي اكلناها قبل قليل.

اقترب منها وكأنه يحاول لمس بشرتها، فتراجعت بسرعة عنه وهي تهز رأسها انزعاجاً وتأنيباً. وتطلعت فجأة نحو الرجل الأسمر، فاحمرّت وجنتاها. كان يتأملها بتمعّن وروية... اذن ما زال يتذكرها. حبست أنفاسها ضيقاً وانقباضاً. ماذا يريد منها هذا الرجل؟ صداقة سرية مع السكرتيرة الجديدة التي يرفض التصريح هذا أمام سيدته بانه يعرفها؟ شعرت بأنّ كرامتها طعنت في الصميم وانها كانت غارقة في الأوهام والاحلام. وجهت اليه نظرة تأنيب قاسية، ولكنه ابتسم بخفة وكأنه لا يبالي بانزعاجها. وعندما تحركت سيرافينا عن جارها الآخر اليه مجدداً، عاد يكرّس كل اهتمامه وانتباهه اليها... وحدها.

ثارت حفيظتها مرة اخرى وقالت لنفسها... ليذهب الى الجحيم. كيف يجرؤ على الافتراض بانه قادر على اذلالها بمجرد ان يغمزها قليلاً... ومن وراء ظهر سيرافينا؟ تجاسرت دونا وتحركت الى أنطوني حيث أمضت واياه بقية السهرة يتسامران ويتحدثان بمرح

واضح . . . وهي غير مبالية بانزعاج سيرافينا من ذلك.

أزيلت السجادات عن الأرضية الخشبية للقاعة الكبرى، وعزفت المقطوعات الموسيقية الحالمة التي كانت ناجحة أثناء تربع سيرافينا على عرش هوليوود. رقص الضيوف الى ما بعد منتصف الليل. لم تتراجع دونا عن جسارتها وتهورها، فتمتعت بوقتها حتى النهاية. لم ترقص فقط مع اندي، ولكنها قبلت أيضاً دعوات من رجال آخرين. ظلت على تلك الحالة الى ان حاول أحد الرجال التمادي معها. داست بقوة على رجله لتضع حداً نهائياً لتصرفه الأرعن، فتركها شاكاً وركضت بسرعة الى الشرفة.

شعرت دونا بأنها متعبة ومرهقة بسبب الرقص وبمحاولاتها الجاهدة للتحدث مع اولئك الرجال الذين لا يعرفون الا الايطالية. وفرحت لوجودها وحدها، فأغمضت عينيها وتنفست بقوة مرات عديدة لتملأ رئتيها بالنسيم المنعش وبرائحة الزهور الغنية العطرة. مرت بضع دقائق قبل ان تلاحظ ان رائحة مزعجة اختلطت بعطر الزهور. رائحة تبغ يحترق. . .

نظرت الى الوراء، فرأت رجلاً طويل القامة. تسارعت دقات قلبها بعصبية لأنها عرفت على الفور انه ريك لوردينو. سيظن انها تتبعه، مع أنها كانت تريد دائماً الابتعاد عنه وتجنبه!

- لا تدعني. انظر حيث انت لأخبرك بأننا نكون حكيمين اذا تظاهرنا بأننا لم نلتق من قبل. انت بحاجة لوظيفة جيدة هنا على سواحل صقلية، وهي لك ولكن من الافضل لنا أن نظل غريبين أمام سيرافينا.

سألته ببرودة أعصاب قاسية ومنفعلة:

- لماذا؟ الن توافق صديقتك على ذلك؟ الا تعلم سيرافينا أنك تحاول اصطياد الفتيات الغريبات عندما تكون في روما ومتأثراً بأجواء المغامرات العاطفية؟

- كما قلت لك آنذاك، يا عزيزتي دونا، نحن لسنا غريبين عن

بعضنا. لقد شعرت بتلك التفاعلات الكيميائية ذاتها التي شعرت أنا بها. لم أخطفك من الفندق. ذهبت الى ذلك الملعب بدون ان اعرف أنك كنت هناك. ولكنك كنت هناك. . . كان لا بد من ذلك أن نلتقي ثانية.

نظرت اليه بعصبية وقالت:

- اوه، توقف عن مثل هذه الاحاديث! انك تزعجني. أنا اعرف انك تحمل مسدساً، واعرف كم تأخذ اجراً لاستخدامه. فلا تقل لي انك التقيت احداً مثلك من قبل. انت لست من النوع الذي . . . الذي أريد مصادقته!

- كرري هذا الكلام كثيراً لنفسك يا حبيبتي، فقد تصلين الى مرحلة تصديق نفسك. يظن الناس عادة ان بامكانهم طرح مشاعرهم وأحاسيسهم جانباً كتفاحة أو عنقود عنب اصيبا بالاهتراء. ولكن المشاعر جزء من الانسان. ستشعرين انك تزيلين قطعة من جسمك عندما تحاولين عدم الاهتمام بشخص ما.

- الاهتمام؟ هل لديك الشجاعة الكافية لتقول اني . . . اني اهتم بك؟ انت آخر رجل على وجه الأرض افكر بالاهتمام به! انت قاتل محترف!

- انا انسان مثل الآخرين. تمر علي ليال كثيرة لا أفضل خلالها اي شيء، آخر في الدنيا على وضع رأسي على كتف حنون دافىء.

- ومسدسك تحت الوسادة؟

- كانوا يستخدمون السيوف في الأيام الماضية.

- هل تتصور نفسك هكذا . . . الفارس الأسود الذي يحمي سيرافينا نيري؟

- انه وصف رومنطيقي، اليس كذلك؟

- انه افضل من ان اصفك بالشقي او المجرم! هل كنت في شيكاغو من قبل، يا سيد؟ توجد لكنة في لهجتك توحي بذلك.

- يا للنساء، ويا للحشرية! نعم، التقيت سيرافينا في الولايات

الشمعدان، ولكن في نيفادا . . . في احد الوديان القليلة.

- هل كنت الرجل القوي في الملهى الذي يطرد الشاغبين والمشاكسين؟

- انت . . . شيطانة صغيرة!

اقترب منها ولكنه سارع في العودة الى الزاوية المظلمة، عندما سمعا صوتاً يقترب منها. وصل ادولي قربها وقال بصوت ناعم:

- واخيراً وجدتك. اني سعيد لأنك لم تتسللي الى سريرك بدون ان تتمني لي ليلة سعيدة. يا لهذه الليلة الرائعة، يا دونا! انظري الى القمر كيف يختفي رويداً بين النجوم!

كانت دونا لا تزال ترتعش داخلياً بسبب ما سمعته من ريك لورنزي، وكانت تعرف انه لا يزال بامكانه سماع كلامها. امسكت بذراع الشاب النحيل وقالت له:

- اني متعبة . . . كان اليوم طويلاً جداً بالنسبة الي، وأنا مضطرة الآن للدخول و . . . ضمها اليه بقوة وهو يقاطعها قائلاً:

- ليس قبل ان تقبليني قبلة المساء.

حاولت التملص من ذراعيه وهي تقول:

- انا لست من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يقبّلن كل رجل يلتقينه. دعني!

ضغط بذراعيه عليها رافضاً افلاتها بالسهولة التي توقعتها. نظر اليها بعينين جائعتين ثم اقترب من وجهها الا انه قبل ان يفعل ذلك، سمع صوتاً قاسياً يقول له:

- دع السيدة وشأنها! الا تلاحظ أنك تزعجها؟

استدار ادولي نحو الزاوية المظلمة وسأل بصوت عال:

- من انت؟

اقترب لورنزي قليلاً حتى سطع ضوء القمر على وجهه الأسمر، الذي تعلوه ابتسامة مفزعة. صرخ ادولي وكأن سوطاً لسعه:

- انت! هل تقوم الآن بعمليات التجسس المعتادة يا لورنزي؟ لا

اقرب هذه السخافات مني! دعني اخبرك . . . لو كانت الأمور بيدي! لكنت انت على بعد مئات الكيلومترات من والدتي . . . بدلاً من ان تدخل غرفتها وتخرج منها وكأن لك الحق في ذلك! انت لست سوى مجرم تدفع لك بسخاء كي تكون حارسها ومنقذها!

- احترس، أيها الديك الصغير المتبجح! متى عملت انت كي تحصل على دخل يعيلك؟ من المؤكد ان لديك امتيازات معينة، ولكنها لا تسمح لك بفرض وجودك على الآنسة هندسون. انها تأكل خبزها بعرق جبينها، وليس مثلك ايها الطفيلي!

- اللعنة عليك! كم اتمنى لو ادق عنقك ايها السفاح! انت لست الا مأفوناً رخيصاً يعيش على أموال السيدات المسنات!

- انك تمثل دوراً اكبر منك ايها الصغير. سوف تعتقد الآنسة هندسون ان جميع الرجال الايطاليين هم على شاكلتك. فلماذا لا تهدأ قليلاً قبل ان يعاد تخطيط وجهك الجميل الى شكل لا تحبه اطلاقاً!

- اللعنة عليك! اني اكرهك!

ثم حاول توجيه لكمة قوية الى فك الرجل القاسي، الذي قفز جانباً ولكمه على انفه فأدماه. وضع ادولي منديله بسرعة على انفه ونظر الى لورنزي قائلاً له، والشرر يتطاير من عينيه:

- لن ادع هذه المسألة بسهولة. سأجعل سيرافينا تطردك!

- حاول ذلك، يا بني.

نظر بهدوء الى دونا، التي كانت تراقب النزاع بمزيج من الخوف والاثارة. لم تشعر بالأسف تجاه ادولي لأنه اساء التصرف معها. ولكنها اصيبت بصدمة مذهلة ناجمة عن مسارعة ريك لورنزي للدفاع عنها. قال لها:

- هل تريدين الدخول؟

هزت رأسها وسارت معه على الشرفة، فيما كان ادولي يجفف الدماء التي سالت من انفه. وعندما تطلعت الى الوراء، ضحك ريك بقساوة وقال:

- من شأن هذه الكمية القليلة من الدم أن تخفف من عصبيته وتوتره. ألم تكوني مسرورة بهجومه عليك، أليس كذلك؟

- طبعاً لا! أشكرك على تدخلك ولكن... ألست قلقاً من أن تسبب لك بعض المشاكل مع امه؟

- أبداً على الاطلاق. لا يمكن لهذا الشاب الأرعن ان يثير اي متاعب بيننا. انه ليس الشخص الذي يمثل اي مشكلة.

- هل تعني... انه لا يثير اي مشاكل بينكما الا... وجود امرأة اخرى؟

- بالضبط.

شعرت دونا بأن تلك الكلمة كانت كافية لوصف الوضع بكامله. أحسّت وكأن يداً قوية عصرت قلبها عندما نظرت الى ريك وشاهدت تلك الابتسامة الخفيفة على وجهه. انه قاس جداً، ولكن ثمة رقة لا تصدّق في الصالة تذيب أحاسيسها ومشاعرها. كانت تتعثّر وتقع، ولكنّه امسك بمعصمها بقوة... وبنعومة ايضاً. همست بصوت خافت:

- لم اكن اظن انني... انني سأراك ثانية.

- انا كنت أعلم بأنني سأراك. بحثت في سجلات الفندق ووجدت اسمك... منشوراً. كنت اعرف ان شابة بهذا الاسم سوف تأتي الى الفيلا للعمل مع سيرافينا.

- ربما كان من الافضل لي ان اعود الى بريطانيا. هذا هو يومي الأول هنا، وها قد تسببت في ايقاع الخلاف بينكما... انت وادولي.

- الحياة مليئة بالمشاكل، ولا مجال للتهرّب من الحياة.

- انت تختلف كثيراً عن بقية الرجال. لم أعرف في حياتي الا طلاب جامعة، وقليلاً فكلاهما كان يظن بأنه جذاب لا يمكن مقاومته... مع انه كان مملاً ومزعجاً جداً. اني مرهقة جداً الآن، وسأذهب الى النوم. سأعود غداً ان شاء الله الى وضعي الطبيعي!

- صحيح، فكل شيء يبدو طبيعياً اكثر في النهار. المشكلة

الوحيدة هي ان نجوم الليل تنسينا أفكار النهار. تصبحين على خير، يا آنسة.

- تصبح على خير، يا سيد.

هربت دونا من هذا الرجل مجدداً... ولكنها تدرك هذه المرّة أنها سوف تلقاه صباح اليوم التالي. وكانت متأكدة أنها ستجده في ضوء النهار اكثر جاذبية وتأثيراً عليها من اي انسان آخر عرفته في حياتها. تذكرت تسارع نبضها عندما كان يمسك بمعصمها. لم يكن ذلك منطقياً، فهي لا تعرف الرجل الا قليلاً... وهو رجل لم يخف ان سيرافينا تأتي اولاً، وأنها صاحبة الحق في توجيه ارادته... ورغباته.

٣ـ حارس... أم والد!

انهمكت دونا في عملها خلال الأيام التالية، مستخدمة أجمل مكتب شاهدته في حياتها. كانت الطاولة من الطراز الذي استخدم في عصر النهضة، والجدران مغطاة بألواح من الخشب الداكن. أما أرض الغرفة، فكانت مغطاة بسجادة قديمة رائعة... فيما السقف عبارة عن لوحة فنية ضخمة تمثل أميرة ووصيفاتها يجلسن بتكاسل على حافة جدول ماء يعكس صورهن كأنه مرآة صافية.

ولكنّ الذي أثار دهشة دونا واعجابها، كان التمثال الحجري أمام الشرفة، الذي يمثل فارساً يحمل سيفاً كبيراً. بمجرد ان شاهدت ذلك التمثال، شعرت بأنّ قلبها غاب من مكانه. تذكرت سؤالها لحارس سيرافينا عما اذا كان يعتقد نفسه أحد فرسان القرون الوسطى بالنسبة

الى سيدته. انها فكرة لا بأس بها، تختلف كثيراً من الواقع المرير لما هو عليه فعلاً. انه رجل تستخدمه امرأة ثرية لحمايتها. سريع في استخدام المسدس ولا يتوانى من استخدامه حتى للقتل، اذا دعت الحاجة لذلك. انه، بكلام آخر، رجل خارج عن القانون من نوع حديث. هل يعيش هذه الحياة منذ فترة طويلة؟ كم مضى عليه من الزمن قبل أن يصبح شخصاً فاقداً حسّ الناس ومشاعرهم، وغير قادر على التصرف بانسانية وحرارة عاديين... كما فعل ذلك المساء على الشرفة؟

ولاحظت دونا انه لم يقترب منها كثيراً منذ تلك الأمسية، وانه لم يشر من قريب او بعيد في حضور سيرافينا الى اهتمامه بها. لم تعرف كيف تشعر ازاء هذا التصرف... بارتياح ام بانقباض! كان الأمر مثيراً أحقاً ان يهبّ رجل للدفاع عنها... رجل بعيد كل البعد عن كونه شاباً طائشاً يفعل ذلك لكسب ودّها أو للاعتزاز بنفسه أمام اصدقائه. جاء تصرفه معبراً تماماً عمّا كانت الحياة عليه سابقاً، عندما كان الرجال مستعدين للمبارزة حفاظاً على شرف امرأة.

في أي حال، شعرت دونا بارتياح كبير لأن تهديدات اندري لم تكن خطيرة. واذا كانت سيرافينا علمت بالأمر من ابنها، فانها بالتأكيد لم تعرف السبب الحقيقي للخلاف... والا لكانت طلبت منها ان تجمع حاجياتها وترحل. لا بد ان اندري نسي التفاصيل أو معظمها، لأنه سألها لاحقاً عما اذا كان أزعجها تلك الليلة. رأت ان من الحكمة ابلاغه بأنه لم يضايقها قط.

ـ لا بد اني قلت لك شيئاً ضايق لوردتي. لأني اتذكر انه لكمني على انفي. أنا لا ألومه عندما أكون في وضع طبيعي، لأنه رجل خطر عندما يغضب. هذا ما تحبه فيه سيرافينا.

ثم انحنى اندري على الطاولة التي كانت دونا تجلس وراءها وتعمل بجد ونشاط... الى أن جاءها الوريث الشاب. نظر الى اوراقها بسرعة ثم حوّل نظراته الى عنقها الجميل وابتسم قائلاً:

- انه عمل أنيق للغاية. ولكن أليس من المعيب جداً ان تسجن فتاة مثلك مع آلة كاتبة، في حين أنّ الحياة في الخارج ممتعة للدرجة كبيرة. . . وهناك مطعم صغير على الساحل يمكننا ان نتناول فيه شتى أنواع الطعام؟ ما رأيك في ان تتناولي معي اليوم طعام الغداء؟

هزّت دونا رأسها نفياً وباصرار، لأنها كانت تعلم انه لن يدعها تعود الى الفيلا قبل ساعات عدّة، مما سيفقدها وقتاً ثميناً للعمل. قالت له بصراحة:

- والدتك ربة عمل كريمة، وانا اتمتع بعملي معها فلديها ذاكرة قوية، كما تعلم، وهي تتذكر احداث الماضي البعيد وكأنها جرت أمس.

هز كتفيه وبدأ يسير في الغرفة عاقد الحاجبين. قالت دونا لنفسها انه من المؤسف جداً ان سيرافينا لم تصر على ابنها ليعمل ويحل نفسه بجهده الشخصي. فهو يقضي حياته في اقامة علاقات [illegible] لا معنى لها مع اكبر عدد ممكن من النساء، او في الذهاب الى النوادي الليلية [illegible]

[illegible]

- ألا تشعر ابداً بأي رغبة للعمل؟ ألا يملك [illegible] وصحتك على هذا النحو الذي يؤذي جسمك وروحك وعقلك؟

جلس في مقعد مريح أمامها وبدت على وجهه فوراً ملامح الجدية والحكمة، على الرغم من مشاعر الغنى والدلال التي كانت تخيم فوقه. ثم تمتم بصوت منخفض:

- انه دليل مشجع عندما تريد الفتاة انقاذ الرجل من نفسه. ما هو نوع العمل الذي تقترحين عليّ اتباعه؟

- انك ماهر جداً في كرة المضرب، فلماذا لا تدرّب الآخرين في هذا المجال؟

- واحتفظ في الوقت ذاته بجسد سليم وعقل سليم، أليس كذلك؟ اعتقد انك احدى المبشرات المتحمسات. هل تحاولين انقاذ

روحي قبل ان تلتهمها نيران جهنم؟

- أنا جادة في حديثي. بامكان رجل مثلك ان يؤسس بسهولة ونجاح، احد أفضل النوادي الرياضية في هذه المنطقة. عندما تكون لديك مهارات، يجب استخدامها. أما اذا كنت تفضل اضاعة وقتك سدى، فهذا شأنك يا سيد نيري.

اختفت الابتسامة الساخرة من عينيه الخضراوين وراح يتأملها بجدية وهدوء. ثم وجّه اليها ما لا يمكن وصفه الاّ بنظرة [illegible]، وقال لها:

- يمكنني ان امسك بين قطعتي خبز محمصتين والتهمك دفعة واحدة!

قفز الى جانبها وعانقها بسرعة، قائلاً لها:

- انك رائعة، مثيرة! أنت على حق، فحياتي كانت ضياعاً وعبثاً [illegible] لتنظيمها. حان الوقت كي استقر، فهل تقبلين الزواج مني؟

[illegible] دونا وقالت:

- [illegible]

[illegible]

- [illegible] مدى الحياة، أليس كذلك؟ هل أنت خائفة من ان اعود سأكون زوجاً متعباً يبدأ مع نهاية الاسبوع الأول لزواجه في ملاحقة النساء الاخريات؟

- من المتعارف عليه ان العادات القديمة لا تموت إلاّ بصعوبة بالغة.

وتذكرت فجأة ريك لورنزي، فانتبهت لنفسها وقالت له بلهجة قاطعة:

- يجب الاّ تكون هنا، يا سيد. لتحدّث بمثل هذه التفاهات وتقاطع عملي. سوف تشعر امك باستياء كبير، اذا اتت الى هنا، لاعتقدت أنني اتسكع وقتي معك، بدلاً من ان اطبع لها هذا الفصل من الكتاب. انها تريد مراجعته في وقت لاحق اليوم.

- اذا تزوجنا يا دونا، فلن تعودي مضطرة للعمل طوال حياتك.

- حقاً، وهل ستقبل أمك أن تعيشا معاً على نفقتها... وعلى هذه البحبوحة؟

- أنت قاسية جداً، أيتها الحبيبة! كنت أعتقد أنّ قلبك رقيق كبشرتك! اوه، كم اتمنى ان اجعلك تذوبين حباً بي! انت مثيرة بشكل مذهل! هل تعرفين ذلك؟

خاطبته دونا بحدّة ظاهرة وتوتر واضح:

- ارجوك توقف! انت تشعر بالضجر ولا تجد شيئاً أفضل من الحضور الى هنا، والتفوّه بكلمات سخيفة تافهة... انظر الآن ماذا جعلتني افعل!

ارتكبت هذا الخطاء لا يمكن تصحيحها بدون تشويه الورقة بكاملها. نظرت اليه غاضبة وقالت:

- اذهب، ارجوك!

- لدي شرط واحد.

- أرفض قبول اي شروط كي انعم بقليل من السكينة والهدوء، يا سيد.

- اذن سأبقى هنا وأحرمك من الهدوء، يا آنسة.

- انك حقاً شاب مدلل. لو كان أبي مسؤولاً عن تربيتك، لجعلك بالتأكيد رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى.

- آه، ولكن ليس باليد حيلة اذا كنت أجدك شابة ممتعة، وأشعر بحاجة للبقاء معك. عديني بأنك سوف تتناولين معي طعام العشاء، وسوف أتركك على الفور مع هذه المذكرات المثيرة للفضائح.

- انها ليست كما تقول.

- انتظري قليلاً، يا صغيرتي الحلوة، وستجدين أنني على حق... عندما تبدأ سيرافينا في التحدّث عن عالم السينما. لدى امي الجميلة الساحرة، كما لأي نجمة مشهورة اخرى، حاجة كبيرة لتظل محط انظار الجماهير. تريد والدتي العزيزة ان تصبح مذكراتها من

أروع القصص وأن تبيع منها ملايين النسخ. ولا يمكن تحقيق ذلك في هذا العصر وهذه الأيام، اذا لم تكن هناك مشكلات مثيرة وفضائح! اعدّي نفسك للصدمة، يا صغيرتي البريئة، عندما تبدأ السيدة نيري بكشف أسرار مثيرة عن اشخاص عملت معهم... اسرار لا يمكن هؤلاء الاشخاص نفيها او الاعتراض عليها، لأنه لدى امي قصص مثيرة للدهشة والاستغراب... وهي انها لا تكذب ابداً!

- انا لست جاهلة وغبية، كما تعلم. لم اكن اتوقع ابداً ان تكون مذكرات ممثلة مشهورة عبارة عن مقالات علمية خالية من الاثارة. كان أبي يعمل في عالم صناعة الافلام واعرف بالتالي بعض الأمور التي تجري هناك.

- صحيح اذن ما يقوله مينشكوك الذائع الصيت عن الشقراء التي تبدو باردة وهادئة الأعصاب... انها في داخلها شعلة نار حارقة!

- سأشتعل فعلاً يا سيد، اذا لم تذهب وتتسلّ في مكان آخر. لديّ عمل يجب انهاءه خلال وقت محدد.

- قلت لك انني سأذهب كصبي مطيع اذا وافقت على تناول العشاء معي. لا تكوني متحجرة. اقبلي دعوتي وقولي انك ستأتين.

أبعدت دونا يدها بعصبية عن يده وسألته بحدة:

- ألم تقاومك أي امرأة من قبل؟

برقت عيناه الجميلتان بابتسامة تحولت فجأة الى قساوة وبرودة وقال:

- لا ترغميني على التخلّي عن تواضعي أيتها الحبيبة. هل يوجد شيء أفضل لفتاة تكدّ وتتعب طوال النهار، من ان ترتدي ثوباً جميلاً، وتقفز الى سيارة سريعة، وتذهب مع شاب وسيم الى مطعم جيد؟ هل يمكنك مقاومة ذلك؟

فكرت دونا قليلاً ولاحظت انه لا بأس على الاطلاق بقبول هذه الدعوة المغرية. ولكنها تعرف أن الفونز نيري يميل كثيراً الى المغازلة والمداعبة، وأنها بالتالي غير راغبة في أن تمضي أمسيتها على احدى

الطرقات الجبلية الجانبية تدافع عن شرفها وكرامتها. عاد يسألها بهدوء:

- اسألي نفسك أيها أهون الشرّين! ان تجدي أمي معك هنا، أو ان تقومي معي بنزهة جبلية هادئة؟ توجد مجازفة في هاتين الحالتين، وسأترك لك حرية الاختيار بينهما.

تطلّعت دونا حولها في تلك الغرفة الساحرة، ونحو الفارس الأسود الذي يلمع تحت أشعة الشمس الجميلة... وسخرت من فكرة الخوف من ادوين. أحسّت فجأة بأنّ ما يهمها حقاً هو البقاء في الفيللا طوال فترة عملها. نظرت اليه فبدا لها شاباً وسيماً لم يعتبر أحداً من قبل. سألته بهدوء:

- متى تريدني ان اكون جاهزة؟

لمعت عيناه ببريق ساطع وقال لها بارتياح ظاهر:

- اذا كنت مستعدّة حوالي السابعة والنصف، فسوف نتمكن من تمضية وقت طويل معاً. الى اللقاء ايتها الحبيبة.

غادر الغرفة على الفور وعادت دونا الى عملها... وهي ترفض حتى مجرّد التفكير بمدى سلامة قرارها. ولكنها ذكّرت نفسها بأنها لن تجد فارساً يهب للدفاع عنها في تلك الطرقات الجبلية النائية. وابتسمت...

هكذا تعتبر ريك لورديتي، الذي قد يكون أخطر بكثير من مئة ادوين معاً. ما من امرأة تمثل مركز سيرافينا تستخدم حارساً شخصياً لا يكون قادراً على استخدام كافة اساليب العنف والقساوة مع الذين يحاولون ايذاءها. وتذكّرت ما أخبرها اياه ادوين عن تمكّن ريك من انقاذ سيرافينا بسلام، من ايدي عصابة من الأشرار... حتى بعد ان تلقى طعنة قوية في صدره. وأحسّت دونا بشيء يطعنها تحت ضلوعها. انها لا شك غبية وسخيفة للغاية اذا كانت تعتقد بأن لرجل مثل لورديتي أي اهتمام حقيقي بفتاة مثلها. سيرافينا هي المرأة الوحيدة في حياته. ومن له امرأة مثل سيرافينا الرائعة الجمال والذائعة

الصيت وصاحبة الثروة الطائلة، لن يعير أي اهتمام يذكر لفتاة ريفية أقل من عادية.

أدارت دونا آلة التسجيل وراحت تستمع بانتباه بالغ للأحداث التي مرّت في حياة سيرافينا، عندما كانت سيرافينا فتاة صغيرة في صقلية. تصوّرت ريك يعيش حياة مماثلة. انهما شخصان يعرفان معنى صعوبة الحياة في محيط يعمه الفقر والحرمان، ويتملّكه الجميع ارادة قوية وشجاعة فائقة. استغلت سيرافينا جمالها للابتعاد عن الضجيج، والمجاعة والأزقة الوسخة. أما ريك، فقد استخدم قوته ومهارته وكان رجلاً يعرف كيف يشقّ طريقه عند حلول الظلام في أدغال المدن الكبرى. كان بالتأكيد عنيفاً كبقية تلك المخلوقات التي تخرج من الشوارع المظلمة بحثاً عن الضحية أو الطريدة... أو الروح الضائعة. كان يختار العزلة في كثير من الأحيان ليقف كهذا التمثال الحجري البارد، الذي لا تتمكن حتى الشمس الساطعة من تدفئته.

هزّت دونا رأسها بقوة، وتمنّت لو ان بامكانها طرد هذا الرجل من افكارها، بمثل السهولة التي طردت فيها وريث الممثلة الشهيرة... عندما عرض عليها الزواج، وكأنه يطلب قطعة حلوى. ولكن ريك لورديتي لم يكن ابداً مثل ادوين. انه رجل تحفل حياته بذكريات خلّفت جروحاً وآثاراً لا يمكن ازالتها او محوها. لا شك في انه واجه في شبابه بعض الأحداث الرهيبة التي حوّلته الى رجل قاس ودفنت في اعماقه جميع المشاعر الرقيقة والناعمة... حتى اختفت تماماً وأصبح كتلك الصخرة في الحديقة. تحوّل حجراً قاسياً وبارداً، ولن تعود الى قلبه ابداً تلك الشعلة الحميمة التي تجذب الفتاة اليه لتدفئها بحرارة عاطفته.

وضعت دونا يدها على عينيها وكأنها تريد حجب رؤيته عنها. من المؤكد أنها متأثرة بشيء ما في الأجواء الايطالية المثيرة. انه يعجبها الى هذه الدرجة، لأنها لم تعرف في حياتها رجلاً مثله. انه ليس فارساً

من القرون الوسطى يرتدي الدروع الواقية ويستل سيفه للدفاع عن المظلومين. . . بل هو قاتل محترف يهتم بامرأة ثرية، بالأكثر من ناحيتها! قال ادولي ان ريك يدخل غرفة سيرافينا ويخرج منها بحرية تامة. ويجب ان تكون بريئة كطفلة صغيرة كي تعتقد انه يدخل غرفة نوم السيدة الجذابة لمجرد البحث تحت سريرها او في خزانتها عن مجرم محتمل!

شعرت بالارتياح عندما فتح باب الغرفة ودخل الخادم الشاب وهو يحمل لها قهوة الصباح وبعض المأكولات الخفيفة. ولما شاهدت تفاحة كبيرة الذبلة لا تزال معلقة بغصنها، ابتسمت وقالت:

ـ اوه، كم هي جميلة!

ـ ارسلها اليك السيد.

قفز قلبها من مكانه وهي تعلل النفس بأمل سخيف لا يمكن تصوره. سألته عمن يكون ذلك السيد، فأجابها باستغراب بأنه السيد تيري. تضايقت قليلاً ولكنها ابتسمت وطلبت منه ان يشكر السيد نيابة عنها. تضايقت لأن قلبها تصرّف على هذا النحو المزعج، مع ان عقلها قال لها ان ادولي هو الذي يختبر الفتاة كالفاحصة. . . وان في جعبته حركات ساحرة عديدة تهدف الى اضعاف مقاومتها.

حملت فنجان القهوة ووقفت أمام الباب الزجاجي الكبير، تتأمل عبر أغصان الشجرة التي تغطيها ازهار جميلة حمراء، ذلك الفارس الحجري الصامت. لم تتصور نفسها ابداً رومنطيقية الى هذه الدرجة. الا انها بدأت تتعرف على هذا الشكل منذ مجيئها الى ايطاليا. . . كفتاة في قصة عاطفية تجد نفسها فجأة متعلقة بشخص غريب، دون ان تجد سبباً لذلك. . . شخص اسمر طويل القامة أزعجها وأثار اعجابها منذ اللحظة الاولى التي نظرت فيها الى عينيه القاسيتين. هل هي على خطأ اذا ظنت انه نظر اليها، وكأنه يريد امتلاكها مع انه لن يتمكن ابداً من ذلك؟

شعرت بألم حاد في قلبها ومسحت الدموع من عينيها وهي تقول:

ـ توقف عن ملاحقتي كالكابوس!

وجدت نفسها فجأة في الحديقة وهي واقفة امام الفارس الأسود. رأسه كان منحنياً بخوذته الحديدية الثقيلة، ويداه الممسكتان بالسيف جامدتين لا تتحركان. كانت العصافير وحدها تزقزق وتتحرك. . . أما الفارس فقد ظل محتفظاً بصمته وجموده، وتأمله.

أعدت نفسها للسهرة الراقية وهي تشعر بتوتر خفيف. ربما كان عليها ان تكون اكثر حزماً مع ادولي، وان تجازف بحضور امه فجأة ومشاهدتهما معاً على انفراد. الا ان الشرح والتزين لتناول العشاء خارجاً، لم يكونا امراً مزعجاً حقاً. وسرّها ان ترتدي ذلك الثوب الجميل لأول مرة منذ ابتياعه في باريس. وضحكت عندما تصورت نفسها فتاة بسيطة جاهلة تسمح لهؤلاء الايطاليين الوسيمين بإخراجها عن برودتها القاتلة التي تشعر بها كثيراً. ما من احد يمكنه القول انها لا تبدو جذابة من حيث الشكل الخارجي، على الرغم من أن قلبها لم يعد متأكداً من نفسه وذاته.

ارتبكت عندما شاهدت ادولي ينتظرها امام قاعة الجلوس ويبدو جذاباً للغاية في سترته البيضاء الرسمية وسرواله الأسود الضيق. اقترب منها بسرعة وشدّ على يدها بقوة، قائلاً:

ـ كم انت جميلة! انت جذابة ورائعة، ايتها الحبيبة!

ـ وانت ايضاً، يا ادولي، تبدو جذاباً ولا بأس بك على الاطلاق!

ابتسمت عيناه قبل شفتيه وقال:

ـ شكراً. هكذا يجب ان يكون الوضع دائماً. . . ان يكون الشخصان مناسبين لبعضهما.

تصوري كم سيكون جميلاً ورائعاً ابننا، ايتها العزيزة.

ـ اسمع! لا أريدك ان تبدأ ذلك ثانية!

رفض احتجاجها ضاحكاً، ثم فتح باب القاعة وقال للشخصين الموجودين هناك:

ـ انا ذاهبان.

كانت سيرافينا متمددة على كنبة وريك واقفاً قرب النافذة. نظر اليها بعينين فاحصتين ثم وجّه نظرة سريعة الى انطوني، الذي قالت له امه:

ـ لا تقد سيارتك وكأنك تشارك في السباق المقبل. تعجبني دونا كثيراً كسكرتيرة ولا أنوي ابداً ان افقدها. اني اتساءل في الحقيقة عما اذا كان من الحكمة السماح لك بدعوتها هذه الليلة. انها مخلوقة طرية جداً لم تكتشف شرور الحياة، وكنت اعرف والدها واعجب به. ولا اظن انه كان سيوافق عليك، ايها الحبيب.

ـ سأحافظ على هذه الفتاة، يا سيرافينا، كما يحافظ ريك عليك! من المؤكد أنني لن اجد مثلاً اعلى، افضل من حارس امي وفارسها!

رفع ريك حاجبه الاسود ونفخ الدخان بقوة من انفه الغاضب. ولكن سيرافينا نظرت اليه وسألته بغنج ودلال:

ـ هل انت حقاً هكذا، يا ريك؟

حوّل نظره اليها، فضحكت باغراء وكأن هناك نكتة لا يعرفها سواهما. ثم عادت لتقول لابنها:

ـ لا يوجد مثل ريك سوى عدد قليل من الرجال، أيها الحبيب. ولكن لديك أنت طبيعة دافئة ومتلهفة، ويسرّني جداً ان اوفّرك وانفق عليك المال بدون حساب، لأني ذقت طعم الفقر والحرمان فترة طويلة في بداية عمري. كنت اتحرّق في صباي كي احصل على جزء يسير مما هو متاح لك اليوم. اذهب، يا انطوني، وتمتع بسهرتك. ولكن حاول ان تتصرّف بلباقة وتهذيب مع هذه الفتاة الطيبة.

ـ طبعاً، يا امي.

اقترب منها وقبّلها على جبينها. وسمعت دونا الضحكة القصيرة وهي تضحك بنعومة عندما كانت تداعب وجهه الذي يحمل شبهاً كبيراً لوجهها. وفجأة جذبتها العينان الخادعتان بقوة، فلم تتمكن من مقاومتهما. نظرت دونا الى ذلك الرجل، الذي يبدو أنّ سيرافينا تقيّد جسمه وروحه بسلاسل من الحديد، وتساءلت عن سبب عدم

زواجهما. هجرت سيرافينا زوجها منذ زمن طويل، ولكن الطلاق لم يعد مستحيلاً في ايطاليا. فلماذا لا تطلّق زوجها وتتزوج ريك؟ انه بالتأكيد رفيقها... وهل يمكن لأي رجل يمضي هذا الوقت الطويل مع امرأة جذابة ومثيرة مثلها بدون اي علاقة؟

كانت عيناه جامدتين وقاسيتين عندما التقت نظراتهما، ولكنه اخذ ينظر الى جسمها النحيل وكأنه يداعبها، فنظرت اليه بغضب ورجاء وكأنها تقول:

ـ إياك! لا اريد ان اعرف ماذا تشعر سيرافينا عندما تضمها بين ذراعيك!

شهقت عندما امسك انطوني بذراعها وقال لها:

ـ تعالي، حان الوقت لذهابنا.

كان يداعب وجنتيها بنظرات الوله والهيام، ولكنها لم تشعر بشيء. خرجت معه من تلك الغرفة الكبيرة، ولكنها احست بأنها تركت وراءها جزءاً حيوياً بالغ الاهمية من شخصيتها وذاتها. انه حتماً يثير الشفقة ان تتعلق برجل يخص امرأة اخرى... امرأة متسلطة حادة الطباع ستغرز اظافرها في وجه الفتاة الغريبة، وتمزقه ارباً اذا ضبطت ريك وهو يلمسها فعلاً.

ولكن دونا كانت متأكدة من انه أراد ان يلمسها بيديه وليس بنظراته فقط. لاحظت شحوباً في وجهه وعينيه عندما شاهد انطوني يمسك بذراعها. لا بد أن جسمها ارتعش قليلاً وهي تفكر بذلك الرجل، لأن انطوني قال لها باهتمام حقيقي قرب سيارته السريعة:

ـ لا تخافي من قيادتي... أنا اعرف انك خائفة منه يا دونا. لاحظتك كيف تنظرين اليه، لأنك ربما تشعرين بغرابة نوعية هذا الرجل. اذا كنت تريدين الحقيقة بصراحة، فلا بد لي من القول انه قتل شخصاً في حياته.

ـ اوه، لا!

نظرت اليه بعينين حزينتين وكأنها تستجديه ان ينفي ذلك، ولكنه

هز رأسه مؤكداً كلامه فيما كان ينظر اليها بجدية بالغة:

- حدث ذلك منذ زمن طويل اثناء عراك جرى على احد ارصفة الموانىء وانتهى بمقتل مالف. وقع الرجل ارضاً نتيجة لكمة قوية من ريك، فارتطم رأسه بحجر وقتل على الفور. ثم اعتقال لورينزو وعائلته بتهمة القتل. ومع انه لم تثبت ادانته بالقتل الفعلي، الا ان الجميع كانوا يعرفون انه هو الذي بدأ العراك... وان لديه دوافعه لقتل ذلك الرجل. يبدو ان الرجل كان عضواً في المافيا ومسؤولاً عن مأساة حلت بعائلة ريك.

- مأساة؟ هل تعرف التفاصيل؟

كانت تريد معرفة كل شيء يتعلق بماضيه وحياته، مع ان كلمة مأساة تحمل في طياتها اموراً محزنة وربما مخيفة.

- قتلت والدته. كانت شابة اميركية تعرفت على شاب من صقلية اثناء زيارتها لتلك الجزيرة، وتزوجته خلال فترة قصيرة من ذلك اللقاء. كانا يملكان حقلاً صغيراً يضم عدداً قليلاً من أشجار الزيتون. وعندما توفي زوجها كما وصف القتلة بأنه حادث، القت اللوم على عصابة المافيا وقالت ان افرادها قتلوه لانه رفض دفع خوة لمنظمتهم. وتوفيت هي أيضاً لأنها لم تكف الافصاح عن رأيها بالنسبة الى أولئك القتلة المجرمين. كان ريك شاباً يافعاً واقسم بأنه سيجد القاتل وينتقم منه. وبالتالي، فما من احد يشكك ابداً بأن ريك كان سيقتل ذلك الرجل بيديه لو لم يرتطم رأس القاتل بحجر ويلقى مصرعه على الفور.

توقف انتوني لحظة طويلة ثم، تابع حديثه قائلاً:

- كما ترين يا دونا، فأنت لست الشخص الوحيد الذي يشعر بالتوتر او الخوف منه. ان قساوته الدفينة هذه هي التي تجعله كاملاً في نظر امي. لا توجد كلمات مهذبة لوصف الحب بالنسبة اليها الا بالقول انه اساسي ولا غنى عنه.

وضع انتوني يده على وجه دونا البارد، ومضى الى القول:

- انها قصة مذهلة. ولكن ما يقوي شعور امي بالاطمئنان الى امنها وسلامتها، هو شهرة ريك بالقسوة والعنف. أما بالنسبة اليك، فاني اؤكد لك انك لست معرضة لأي خطر من جانبه. فطوال السنوات التي عرفته فيها، لم ينظر ابداً الى اي امرأة سوى سيرافينا.

- وماذا يفعل عندما يذهب الى روما؟

انطلقت الكلمات من فمها بطريقة عفوية وهي تتذكر النظرات الملتهبة التي وجهها اليها، والتي كانت ستشعل واعرقها لو انها اقتربت منه... بعيداً عن عيني سيرافينا ومراقبتها المذهلة له. هز انتوني كتفيه وهو يفتح لها باب السيارة الفخمة، وقال:

- من يدري؟ انه شريك في احد النوادي هناك. ولكن اذا كان يقابل نساء اخريات، واذا كانت سيرافينا تعلم بذلك، فانها لا تذكر هذا الأمر اطلاقاً. لكنها فيه، حسبما أعلم، واضحة ومطلقة. وهي كما لاحظت انت بنفسك، يكرّس لها حياته بصورة تامة. اذا التقى عراضاً ببعض النساء بين الحين والآخر، فانه سيمضي معهن بالتأكيد فترات عابرة تزول بسرعة بدون ان تترك اي اثر او اهمية. لم يحدث مرة هنا ان همس احد بأي احتمال ضئيل لعدم اخلاصه لها. وانا، من ناحيتي، اشك كثيراً في ان له قلباً يخفق تحت ضلوعه الحديدية.

جلست دونا في مقعدها حائرة صامتة. وبعد لحظات قصيرة، كان انتوني يطلق العنان لسيارته بعيداً عن الفيلا... وسيرافينا... ولورينزو!

كان يقود سيارته بمهارة مدهشة على تلك الطرقات الجبلية الملتوية التي تؤدي الى الساحل. نظر اليها وقال لها باسماً:

- ما يعجبني فيك كثيراً، انك كعطر رائع لا يمكن للرجل ان ينساه بمجرد ان يشمه مرة. وما يثير دهشتي واستغرابي، انك لا تزالين عازبة وتتصرفين الى حد بعيد كعذراء خجولة. هل احببت مرة الشاب حبيب بريطاني لك؟

- أتعجب كثيراً لماذا يتصوّر الرجال الأجانب دائماً أنّ الفتاة البريطانية . . . متقدّمة عن غيرها في هذا المجال! أقولها بصراحة ودون تردد، انّ تصرف أغلبية فتياتنا مشابه لتصرفات الإيطاليات. ننتظر حتى نقع في الحب قبل ان نبدأ في توزيع خدماتنا هنا وهناك.

- أوه! ما أروعك، يا دونا، عندما توزعين خدماتك عليّ!

قال هذه الجملة فيما كانت السيارة تقطع منعطفاً قاسياً، وبدت كأنها معلقة بين السماء وصخور الشاطئ. أغمضت دونا عينيها خوفاً وهلعاً، ولم تفتحهما الاّ بعد ان تأكدت انّ السيارة لا تزال على الطريق. سألته بصوت مختنق:

- لماذا يقود الإيطاليون سياراتهم بمثل هذه السرعة وهذا التهور؟

- ربما للتعويض عن اضطرارهم اتخاذ جانب الحيطة عندما يحاولون مغازلة فتاة تؤمن بالحشمة والفضيلة.

- لماذا تصر يا انطوني، على قيادة سيارتك بمثل هذه السرعة الجنونية؟ هل تريدني ان استرخي؟ لن انعم بهذه النزهة ما لم تخفف السرعة الى درجة كبيرة.

رد عليها مازحاً:

- جبانة! بعض النساء يعجبهن كثيراً السائق السريع.

- ولا أشك أبداً في انك تتحدث عن خبرة طويلة في هذا المجال.

- هل يقلقك ان تكوني مع رجل يتمتع بصراحة بمعاشرة الجنس الآخر؟ هل تفضلين الرجال المتنسّكين؟

- تعجبني الصحبة الجيدة، ولكني لا احب الرجال الذين لا يهمهم الاّ حب الظهور.

- وهل تعتقدين انني أفعل ذلك الآن، ايتها الحبيبة؟

- أظنك تحاول اثبات شيء ما، ربما لنفسك قبل الآخرين. الرجل القوي ليس مضطراً على الاطلاق لاظهار مهارته وقدرته.

- هل تقولين انني لست رجلاً قوياً؟

- انك رجل مدلل جداً، يا انطوني. انت شاب وسيم متأكد من

محبة امه له ورغبتها القوية في الاّ تراه محتاجاً لأي شيء. ولكنك تعرف انك تضيّع حياتك سدى، وفي علاقات كثيرة. لا يمكن للمرأة أبداً ان تحترم رجلاً لم يحقق اي انجاز سوى قدرته الفائقة على التحكم بسيارته السريعة، او في مصاحبة فتيات النوادي الليلية.

- اذن انت تفضلين دون كيشوت على دون جوان؟

- دائماً.

- انت تبحثين عن فارس يحمل سيفاً! فارس سخيف العقل يضع الشرف قبل كل شيء! هل تأملين حقاً في ايجاد شخص كهذا في عصرنا الحالي؟ انّنا، يا عزيزتي، نعيش في عالم مادي أصبحت فيه المُثل العليا عادات قديمة بالية.

- انه امر محزن حقاً. لا شك في انّ الحياة كانت جميلة جداً عندما كان الرجال مستعدين للدفاع عن الشرف والكرامة. اتمنى لو امكنني مشاهدة أمثال هؤلاء الفرسان، ولن انسى أبداً تلك الكلمات التي حفرت على أحدها . . . الشجاعة هي روح الرجل، والشرف هو السيف اللامع الذي يحمله. أرادني ابي ان اعرف معنى التضحية. قال لي انها آخذة في الزوال مع انسان هذا العصر، وانني عندما اجدها في شخص ما فعليّ احترامه وتقديره.

ضحك انطوني وقال لها بمرح واستغراب:

- اوه، يا لك من فتاة! انك تعتقدين حقاً بأنّ مثل هذه الأمور، كالفروسية والتضحية والشجاعة لا تزال موجودة في عالمنا. ربما! اني متأثر جداً كي احاول التطلّع قدماً الى تحقيق مثل هذه الأحلام.

- أعرف جيداً أننا نعيش في عالم يركّز فيه الناس كثيراً على الممتلكات المادية، وعلى تحقيق النجاح المادي، بغض النظر عن مشاعر الآخرين وأحاسيسهم. الاّ انّ اسوأ انواع الرجال في رأيي هو الثري الكبير الذي يستغل الناس الى درجة السحق والاذلال، ويحيط نفسه بهالة من العبادة الشخصية. كيف يمكن لأي فتاة ان تتصور أنّ طاغية كهذا سيحبها؟

ضحك ادوني بسرور وقال:

ـ انك تثيرين حياتي اكثر فأكثر، يا حكيمتي الصغيرة. كنت اتصور أنّ سكرتيرة سيرافينا ستكون فتاة حادة اللسان ولا تعرف شيئاً في الحياة سوى عملها. كانت مفاجأة جميلة، بالنسبة الي، عندما رأيتك للمرة الأولى، ولم اصدّق انّ حظي سيكون طيباً الى هذه الدرجة.

ـ ليس لحظك اي علاقة بمجيئي الى هنا، يا ادوني. انت تعرف جيداً أنّ امك لا توافق على قيام... صداقة... بيننا.

ـ انها تعتقد أنّي سأحاول استغلالك.

سألته بهدوء، فيما كان يوقف السيارة امام المطعم:

ـ وهل هذا ما تنوي القيام به؟

نظر اليها طويلاً ثم أجابها بصراحة مذهلة:

ـ اني لا أنام الليل لكثرة ما افكر بك. احلم بأن اكون معك... بأن اضمك الى صدري. لم اعرف طوال حياتي فتاة مثلك، ذكية وذات شخصية قوية... ومع ذلك بريئة...

ـ ادوني! لم نعرف بعضنا الا من فترة قصيرة جداً، وانت لم تكف منذ البداية عن مغازلتي بسحرك المعهود. اوه، نعم، لديك جاذبية ساحرة... وانت تعرف ذلك. لا اظن أنّي تعرفت في حياتي على رجل اكثر وسامة منك. ولكنك تعيش في محيط مختلف، وأنا ابدو لك مختلفة كثيراً عن النساء الاخريات اللواتي تعرّفت اليهن. ربما احببت بعضهن بشكل او بآخر، لكن عندما يزول البريق الجديد...

ـ لا اعتقد انه سيزول.

وضع يده على شعرها وأضاف بنعومة:

ـ مثل سنابل القمح الحريرية تحت اشعة الشمس. ثمة اشياء كثيرة اريد منحها لك يا دونا. نفسي... قبل اي شيء آخر.

أحسّت دونا في صميمها أنها قد تتجاوب الليلة مع وسامة ادوني، ونظرات الوله في عينيه، والرقة والنعومة في كلماته. ولكنها حذرت

نفسها من انها ستواجه الكثير من المتاعب معه، اذ هي تجرأت على اظهار اي تجاوب مع جاذبيته الساحرة العاشقة. وهي لا تريد التورّط في علاقة لن ترضي ابداً طموحاتها الجدية الحقيقية في الحياة. قالت له بهدوء:

ـ ارجوك! اني جائعة جداً. هل يمكننا الدخول الآن؟

ـ انك تجلسين قربي ولكنك تحاولين الهرب مني. اني اطمح الى تحقيق شيء ما يا دونا، وهو اثارة عطفك هذا وحثك على ايجاد العطف والحنان بين ذراعي. انت وحيدة... كما اننا جميعاً وحيدون داخل انفسنا. ولكني اعرف شيئاً هاماً عنك وهو انك لا تجدينني كريهاً. أليس كذلك؟

انه وسيم للغاية ولا يمكنها تجاهل ذلك. ورث الجمال والاغراء عن والدته. ولكن من هو والده؟ اي نوع من الرجال هو؟ ولماذا لم تعد تعيش سيرافينا معه؟ ما هو السبب في ذلك؟ ارتعش جسمها فجأة لأنّ الجواب تبادر الى ذهنها وازعجها. نظرت الى ادوني فخالجها شعور بأنّ قلبها انتقل من مكانه. تصوّرت أنها تشاهد في وجهه ملامح شخص آخر... ريك لورديتي! ليس من المستبعد ابداً ان يكون ادوني ابن ريك وسيرافينا؟!

ـ ما بك؟

كانت تبدو مذهولة ومصابة بصدمة هائلة. اقترب منها، فأبعدته عنها بقوة وفتحت باب السيارة. كانت رجلاها ترتجفان. هذه هي الحقيقة المرّة... ادوني هو ابن ريك! انها متأكدة من ذلك... لا بدّ من وجود امر اساسي وقوي جداً يبقي ريك لورديتي مع امرأة تحب نفسها اكثر من اي رجل آخر. ولكن ادوني لا يعرف شيئاً عن ذلك، لا بل انه يكره ريك.

تقدم نحوها ادوني من الناحية الاخرى فلاحظت الشبه بين طريقة سيره وتلك التي لريك لورديتي. امسك بذراعها، فتذكرت النظرة القاسية في عيني ريك عندما فعل ادوني الشيء ذاته قبل بضعة ايام.

تلك كامرأة لأنّ الحب مفقود بين الابن وابيه. يعرف ريك لورينتي الحقيقة طبعاً، ولكنّه على ما يبدو لم يقم بأي محاولة لضمان علاقة طبيعية هادئة بينهما. كان يبدو انه منح كل عاطفته ومحبته الى سيرافينا... منح كل قوته وحمايته الشجاعة لها وحدها، ولكن، اليس ممكناً ان يكون ذلك ما يريده ريك؟ الا يعرف انتوني الحقيقة ويمضي في اعتقاده بانه ثمرة زواج شرعي؟

دخلت دونا المطعم مع انتوني، فشعرت على الفور بعيون الموجودين تلاحقهما حتى الطاولة المطلة على المرفأ وبرج المراقبة البعيد. ابتسم لها انتوني فيما كانا يجلسان، فردّت عليه بابتسامة مرتعشة الى حدّ ما. كيف ستتصرّف معه بعد الآن وهي ترى ريك فيه. امسكت حافة الطاولة بأصابعها المرتجفة، فوضع يده على يدها وتمتم قائلاً:

- يعتقد هؤلاء الاشخاص أنّنا عاشقان. هل لاحظت كيف نظروا الينا عندما دخلنا؟

انّنا نبدو بالتأكيد متناسبين جداً لبعضنا.

تنهّدت بشيء من الانزعاج وقالت:

- ارجوك، الا يمكننا التحدّث عن موضوع آخر؟ لماذا لا نمضي وقتنا براحة وهدوء؟

- اذن، لنبحث موضوع الوجبة التي سنتناولها. ما رأيك في ان نستهل العشاء بشريحة من السمك المقلي؟

- اختر لي ما تريد، يا انتوني.

- هل تسلّمين امرك لي، ايتها العزيزة؟

- نعم... انا كنت احب ذلك.

- احب ذلك الى درجة كبيرة. احب كل شيء يتعلّق بك، حتى التحفّظ الذي تستخدمينه لحماية قلبك. واعتبر رفضك ادخال اي رجل الى قلبك حتى الآن، اثارة وتحدّياً.

لم تعلّق على كلامه بل نظرت اليه ببرودة وهدوء مصطنعين. لم

تشعر ابداً من قبل بمثل هذا الانقباض وهذا التوتر. صممت على تغيير الموضوع، فسألته بلهجة عادية:

- هل توصف هذه المنطقة البحرية بساحل القراصنة؟

- نعم. كان برج المراقبة الذي يستخدم حالياً لارشاد سفن الصيد، بعيداً عن هذه الصخور، يستعمل في القديم لمراقبة سفن القراصنة، وكان المراقب يعطي اشارة خاصة، فيهرع السكان الى اخفاء ممتلكاتهم الثمينة... وبناتهم.

ضحك انتوني واضاف قائلاً:

- هناك جانب مسلٍّ للموضوع، وهو انّ بعض الفتيات كنّ يفضلن الاختطاف على ايدي القراصنة، بدلاً من الارتباط بأزواج يختارهم اهلهن. حدث كثيراً انّ الرجال المسنين وحدهم كانوا قادرين على دفع مهر العروس، فيما الفتيات يفضلن الاحباء الشبان الذين يتمتعون بالحيوية والنشاط.

- ليس الامر دائماً على هذا النحو، فليس جميع الرجال المسنين اشخاصاً يفتقدون الحيوية والنشاط. كان ابي رجلاً جذاباً للغاية بالنسبة الى النساء حتى عندما تجاوز الخمسين.

- الوالد الرومنطيقي الذي علّمك البحث عن الشجاعة الحقيقية والشرف. الا تضعين لنفسك مستوى عالياً الى درجة الاستحالة يا عزيزتي؟ هناك فضائل اخرى في هذه الحياة يا دونا.

نظرت اليه بتحدٍّ وهي تسأله ببرودة:

- مثلاً؟

- طبيعة دافئة ومحبة، وحسّ قوي لما تحبه النساء. يحدث احياناً ان يكون الرجل صاحب الاخلاق والمبادىء جبل جليد لا يفهم النساء على حقيقتهن بل يفضل الفتاة الطاهرة المتمسكة التي لا تقدم الا مطالب روحية، وانت لا تريدين رجلاً كهذا! لا يمكن لفتاة مثلك ان تريد رجلاً كهذا!!

- انت لا تكاد تعرفني، وانا اعتقد انّ الاشخاص الذين

يضحكون، يجعلون الحياة بالنسبة الى الآخرين جديرة بالعيش الكريم.

- يا للبلهم! أنا اعرف، يا فتاتي المفضلة، انك لن تفكري بالزواج قبل ان تحبي فارس الاحلام الى درجة كبيرة. عظيم، انه أمر يسعد قلب الرجل ويريح باله. اما الآن، فسوف تتمتع بالسمك.

يا لسحره الشيطاني! لقد ورث ذلك طبعاً عن ريك! شعرت بأنها لا يمكن ابداً ان تكون اكثر اقتناعاً بهذه النظرية وهذا التحليل. وتذكرت ريك لورديتي وقبلته على يدها... ووردته البيضاء... وساعات الرقص الطويلة. انها تعرف أنّ الخطر كبير في الوقوع بحب رجل يبعد كل البعد عمّا تتخيله في فارس احلامها المثالي... رجل ربط جذوره واخلاصه وحياته بامرأة اخرى... امرأة جميلة جداً لن يتخلّ عنها بسبب فتاة عادية ستعمل لديها بضعة أسابيع قليلة...

٤- عيناه نجمتان...

كانت دونا تجد دائماً تسجيلات معطّرة بصوت سيرافينا، تسمعها وتنقلها مفصّحة الى الورق. وكان واضحاً انها امرأة لا تنام كثيراً أثناء الليل. ولكن قدرتها الفريدة على تذكّر التفاصيل الدقيقة وسردها بأسلوب قصصي شيق، ساعدت دونا الى درجة كبيرة في تنفيذ مهمتها من غير صعوبة تذكر.

لاحظت وهي تستمع بانتباه الى التسجيلات الصوتية المتواصلة كيف يمكن لهذه السيدة ان تسلب عقل الرجل وارادته. فلديها صوت مغرٍ دافئ، يداعب الأحاسيس والمشاعر. وحسبما ورد في أحد فصول الكتاب، فان بعض الرجال المشهورين حاولوا كسب ودها... ولم يكونوا جميعاً من عالم السينما. كان بينهم أصحاب

شركات النقل البحري، وسياسيون نافذون، ومصرفيون أثرياء.

تحدثت سيرافينا عن المجوهرات التي أغرقوها بها، وعن معاطف الفرو التي رفضتها لأنها تمقت فكرة قتل تلك الحيوانات الجميلة لاستخدام فروها بهدف تجاري. قالت ان عدداً قليلاً من النساء ينافس الفهد في عظمته، والنمر في جماله، والطفل في سحره وبراءته. وأضافت ان بعض الرجال يشبهون الى حد ما، الفهود من حيث القوة القاسية، ولكنها لم تلتق هؤلاء في هوليود ولكن في بلادها ايطاليا. وذكرت سيرافينا ان الرجال في وطنها الأم، يتمتعون بسحر وقدرة على المجاملة وإثارة احاسيس النساء، أكثر بكثير من معظم أبطال الشاشة. وتحدثت باعتزاز عن فالنتينو الذي سحر نساء العالم سنوات عديدة.

ابتسمت دونا ثم بدت الجدية على وجهها. كانت سيرافينا صريحة للغاية في آرائها، ولكن هناك فراغاً يثير الدهشة والاستغراب في الفصول الأولى للكتاب. . . لم تذكر شيئاً عن طفولتها وسنوات [illegible] الشرق [illegible] القوي [illegible] العائلة بولادته. لا يعرف احد هذا السر سوى ريك. . . ودونا، التي توصلت اليه افتراضاً نتيجة التشابه بين ملامح ريك واديل. انه سر خطير، ستجد الثرثرة موضوعاً دسماً الى أبعد الحدود فيما لو كشف هذا السر. . . سيرافينا تقيم علاقات غرامية مع حارسها الشخصي ومرافقها الخاص.

توقفت دونا عن الطباعة وتخيلت نفسها بين ذراعي لورنتي يرقصان على أنغام المقطوعة الموسيقية الخالدة . . . وعشق الأحلام. تذكرت صوته القوي فيما كانا يسيران على الشرفة. لعب معها لعبة خطيرة جداً. . . جعلها تشعر بأنهما شخصان التقيا صدفة وأعجبا ببعضهما كثيراً، ولكنهما لن يتمكنا من اللقاء ثانية. ضغطت بقوة على

حافة الطاولة وأرادت ان تغضب منه، لأنه قام معها بذلك الدور العاطفي، وهو يعلم طوال الوقت هويتها الحقيقية وانها في طريقها للعمل لدى. . . رفيقته.

اقتحم في تلك الليلة دفاعاتها القوية وحذرها الشديد، التي تواجه بها عادة كافة الغرباء الذين يحاولون ملاطفتها والتودد اليها. سحرها بطريقة لم تعرفها من قبل، وها هي الآن تجد صعوبة كبيرة في ايجاد أعذار مناسبة لتصرفه معها.

وشعرت فجأة بأنها لم تعد قادرة على سماع صوت سيرافينا. أوقفت آلة التسجيل وسارت بعصبية نحو الباب الزجاجي الكبير، ومنه الى ذلك الجانب من الحديقة حيث يوجد الفارس الأسود. أحسّت بوجود شخص يسند ظهره الى جذع شجرة كبيرة، فتعثرت خطاها. ولكنها كانت قريبة جداً منه، بحيث انها لم تعد قادرة على التراجع بشكل عادي وطبيعي. قاومت مشاعر القلق والفوضى التي [illegible] بها، وتابعت سيرها بهدوء مصطنع نحو المقعد الحديدي [illegible] الشمال.

[illegible]

[illegible] ريك [illegible] له.

ـ كنت أعمل، يا سيد، وتناولت طعامي في المكتب. واجهنا بعض المشاكل في الفصل الخامس للكتاب واضطررنا لاعادة طباعته.

ـ آمل ألا تكوني مرهقة في العمل! السيدة قادرة تماماً على نسيان مشاعر الناس الآخرين، في كثير من الأحيان.

ـ لا يهمني ذلك كثيراً، اننا نعمل على اعداد هذا الكتاب بجدّ ونشاط، وكل شيء يسير على ما يرام.

ـ أراك شاحبة اللون.

التفتت نحوه للمرة الأولى منذ جلوسها على ذلك المقعد الحديدي، فشاهدت الخاتم الذهبي يلمع تحت شعره الأسود.

سمّرتها نظراته في مكانها، فظلّت صامتة لحظات طويلة ساعدها التوتر والعصبية. أرادت ان تصرخ بوجهه متوسلة له بأن يدعها وشأنها، ما دام لا يمكن لهما ان يكونا صديقين بصورة عادية.

- ما تحتاجين اليه الآن هو زجاجة كاملة من شراب الوردة. نحن نقول في هذه المنطقة من العالم، ان شراب الوردة ينعش قلب المتثاقل. أخبريني، هل يثير اهتمامك هذا الفارس الحجري؟ هل يذكرك مثلا بقصة تمثال المرمر الذي دبّت فيه الحياة في ضوء القمر وسار نحو كوخ صغير لحطاب قرب نافذته شابة جميلة؟

تذكرت دونا انها قرأت تلك القصة الخيالية المرعبة وقالت:

- ألم يترك وراءه اصبعه المرمرية القاسية؟

- هناك تأثير كبير لهذه القصص الرومنطيقية على خيال الانسان. أليس كذلك؟

- يجب ان تقتصر جميع القصص الرومنطيقية على الخيال فقط.

- عندئذ يمكن للعصبية الشابة ان تحيك قصصاً خيالية حول فارس حجري وهي غير آبهة بأخطاره او مطالبه. ماذا يحدث لو ان الحياة دبّت ليلة في هذا الفارس الأسود وتسلّق الجدار الى شرفتك؟ هل ستصرخين وتوقظين بقية المقيمين في هذه الفيلا؟

حدّقت به طويلا وأحسّت بأن عينيه تلازمانها. ولكنها شعرت بالتأكيد بأن صوته حمل مغزى أعمق وأكثر جدّية. هبّت واقفة وسارت بسرعة نحو المكتب. لحق بها الى الغرفة وجلس بتكاسل على حافة طاولتها. ظهر التوتر الشديد على وجهها، وبدت وكأنها تصرخ به قائلة:

- اياك ان تلمسني او تضع يدك عليّ!

أطلق ضحكته القوية المعتادة وراح يتأمل تلك الغرفة بهدوء مثير للأعصاب. بدا قوياً جداً وخطراً للغاية. ومع انه لم يعد شاباً في مستهل عمره، الا انه بدا وكأنه سيحتفظ بشكله الوسيم الحالي سنوات طويلة. قرأ أفكارها ككتاب مفتوح، اذ قال لها فجأة:

- أجل، أريد ان أتسلّى... وبقوة. لم أفكر بأي شيء، آخر تقريباً منذ تلك الليلة في روما.

- أرجوك! اذهب!

قال لها ساخراً:

- لا مبرر لهذا الهلع الذي يبدو واضحاً على وجهك وفي عينيك. انا لم أدخل غرفة نومك، أيتها الغبية. ويكفي هنا ان أتظاهر دائماً بأني أعطيك ملاحظاتي حول هذه المذكرات. هل يوجد فيها أي شيء، عني؟

هزّت دونا رأسها نفياً وتمنّت لو كان بامكانها ان تقف قربه بدون ان تشعر بمثل هذا الانقباض والانزعاج بسبب نظراته والأمور التي يتحدث عنها. كان واضحاً ان كل كلمة يلفظها تحمل معنيين، وكأنه لا يريدها ان تأخذ ما يوحي به او يشير اليه... على محمل الجد.

حوّل نظره عن لوحة زيتية كبيرة الى وجهها المتوتر، وسألها بهدوء مزعج:

- لو كنت تكتبين عني، فأي نوع من الرجال تعتبرينني؟

لم تفكر دونا الا للحظة واحدة قبل ان تجيب بهدوء قائلة:

- من ذلك النوع الذي يمكنه الذهاب الى القصبة وهو يبتسم او يشرب فنجاناً من القهوة.

- لا يسمحون لي بذلك، لأنهم عادة يربطون يدي الرجل وراء ظهره ويضعون غطاء على رأسه.

ارتجف جسمها بطريقة ملحوظة، فأمسك بسماعة الهاتف وطلب من المشرفين على المطبخ ارسال زجاجة من شراب الوردة. احمرّت وجنتاها وقالت معترضة:

- لا مبرر لذلك.

- ربما لا، ولكني أردت ذلك. كان بودي ان أشاركك في هذا الشراب المنعش، ولكن سيرافينا تتوقع مني الانضمام اليها خلال فترة وجيزة.

شعرت بوخز كلماته فأبعدت وجهها عنه بسرعة. يجب ان تتوقع ذلك. . . ان تأتي سيرافينا في المقام الأول بالنسبة اليه. من المحتمل جداً انه يشعر بشيء من السرور والترفيه عن النفس عندما يغازل قليلاً السكرتيرة الشابة. ولكنه لا ينوي بالتأكيد التسبب بأي ازعاج حقيقي لسيدة القصر. وفجأة سألها بلهجة عادية جداً:

- هل يعجبك ساحل الفراسة؟

- الى حد كبير، يا سيد.

- انت تقولين ذلك يا آنسة. ولكنك تشاهدين هذه الغرفة اكثر بكثير من المناظر الطبيعية الخلابة التي تحيط بنا من كل جانب. اعتقد. . . اعتقد انه يتحتم علينا القيام بشيء ما. هل تنامين بعد الغداء؟

هزّت رأسها نفياً وهي تشعر بأن قلبها قفز من مكانه. فهي تعرف ان سيرافينا تنام ساعتين او اكثر بعد ظهر كل يوم. . . ربما للمحافظة على جمالها ورشاقتها، أو بسبب الأرق الشديد الذي تواجهه في معظم لياليها. عاد يسألها بلهجة طبيعية مذهلة:

- كيف تنظرين الى الاجتماعات السرية؟

- لا. . . لا اعتقد ان عقدها امر حكيم.

- الحكمة للشيوخ، ونحن لم نصل بعد الى هذه المرحلة. . . مع اني أسبقك بمرحلة كبيرة. هل توافقين على الاشتراك معي في مؤامرة صغيرة؟

شعرت دونا ببرودة تجاه سؤاله. ومع انها أجابته على الفور بكلمة نفي وحيدة، الا انها كانت تتحرق لترد عليه ايجاباً. قال لها ساخراً:

- لم تفكري طويلاً قبل الاجابة.

- يجب على المرء الا يفكر مرتين بشأن اللعب في النار، يا سيد.

- صحيح. ولكن هل لديك قلب دجاجة صغيرة. . مع انك أتيت الى ايطاليا للعمل بين غرباء؟

- هذه هي القضية. انا لا أنوي أبداً فقدان وظيفتي.

- سوف أتأكد من ان اجتماعاتنا ستكون سرية للغاية. هل تثقين بي؟

- تعرّض الفتاة نفسها للضرر والأذى، اذا منحت ثقتها بدون تعقل.

- اذن أصدرت حكمك عليّ؟

كان ينظر اليها بعينين تفضحان رغبة. أرادت التراجع عن كلامها هذا. . . انه ظالم وقاس يثير في نفسها حنيناً عنيفاً تجاهه.

- لن. . . لن أتورط معك على هذا النحو. لماذا لا تتركني وشأني؟ ألم تقل أنت بنفسك ان علينا التصرف كغريبين عن بعضنا.

- تجاه. . . الآخرين فقط.

- انت شخص متغطرس متعجرف! كيف تجرؤ على الافتراض بأني أريد مقابلتك سراً؟ أنت تخص سيرافينا. . . أنت عبدها المخلص!

- أنا لست عبداً لأي امرأة، ولكن هناك أمور في حياتي لا تعرفينها. . . أمور لا أنوي ابداً التحدث عنها. في أي حال، حرية الاختيار لك. بامكاننا ان نلتقي ولا يؤدي ذلك الى أي مشاكل على الاطلاق. اما اذا لم تكن لديك الشجاعة الكافية، او انك لست امرأة بما فيه الكفاية، فلن تخسر شيئاً او تكسب آخر.

- لم. . . لم أقم في حياتي ابداً أي علاقة مع أي رجل. . .

اختنقت الكلمات في صدرها وأحسّت بألم حاد في أحشائها. سمعته يقول:

- أعرف ذلك جيداً! هل تعتقدين اني، كرجل من صقلية، يمكنني ان اتصورك فتاة تمنح نفسها بسهولة ليتمتع بها الرجل. . . كقطعة من الليمون في يوم حار؟ رباه! هل هذا هو انطباعك عني.

تحوّل وجهه الى قطعة من الصخر الجامد. . . ولكنها لا تريده حجراً جامداً بارداً. تريد ان تسرق بضع ساعات معه. . . تراه يبتسم. . . وتسمعه يتحدث. . . وتتظاهر لنفسها موقتاً بأنه لها

وليس لسيرافينا. شعرت بأنه انسان وحيد، على الرغم من علاقته مع السيدة المثيرة . . . السيدة التي تسيطر تماماً على الرجال الذين تملكهم وتطالبهم بحبهم واهتمامهم، ومع ذلك فانها تحرمهم من المشاعر القلبية الحنونة والدافئة.

ـ ألا تطالبني، يا ريك، باقامة علاقة معك؟

ـ لا، لا! اللعنة! هل تذكرين تلك الليلة في روما؟ هذا كل شيء أريده منك. اني آسف على ذلك!

ـ أوه، ريك . . .

كانت شعورها نحوه كموجة عاتية عصفت بقلبها وأحاسيسها. أرادت ان تغرق نفسها في رقته وحنانه. لا تزال الشعلة التي أضاءها في تلك الليلة الملتهبة تشتعل في داخلها. ولكنها ستتحول الى نار حارقة اذا التقته على انفراد. سيكون المنظر رهيباً ومفزعاً، اذا ضبطتهما سيرافينا معاً. انه لها، ولن تسمح لأحد او لشيء في الدنيا بأن يغير ذلك الواقع.

ـ لا تنظري الي هكذا!

طوق خصرها بذراعيه القويتين وضمّها بعنف اليه حتى كاد ان يحطم ضلوعها. شعرت بأنه اذابها بين يديه . . . وبأن جسمها أصبح بدون عظام. لم تشعر بمثل هذا الخوف في حياتها، كما انها لم تشعر بمثل هذه الأحاسيس الجامحة.

ـ ريك . . . ارجوك!

ـ اصمتي!

أمسكها بشعرها وجذبها اليه ثانية. ولكنها أبعدت وجهها عنه قائلة:

ـ انك ظالم وغير منصف . . .

ـ بحق السماء، هل يجب عليّ اغتصابك مرة أخرى؟

حاولت مقاومته قليلاً ثم استسلمت لعناقه. انه ريك . . . الذي تريده منذ فترة طويلة! وغرقا في بحر من الحنان. الى ان سمعته

يهمس في أذنها:

ـ كنا نعرف ان هذا الأمر سيحدث عاجلاً ام آجلاً. كنت أسخر منك ومن نفسي عندما تصورت للحظة واحدة انه كان بامكاننا ان نلتقي على انفراد بدون ان يحدث بيننا اي شيء كالآن. انك طيبة جداً، ولكني لست قادراً على التصرف بنبل وشهامة عندما يتعلق الأمر بك. اعذريني، يا دونا.

لم تحاول منعه أو صده عندما داعب شعرها وقبّل أطرافه . . . ثم قال لها بصوت هامس حنون:

ـ انت لست مجرد جسم بالنسبة الي، يا دونا. هل تصدقين ذلك؟ يجب ان تصدقي ذلك يا حبيبتي.

ـ نعم اصدقك، يا ريك.

تنهد بارتياح ظاهر وطلب منها ان تغفر له تصرفاته. أجابته بهدوء:

ـ لم يكن هناك شيء يتطلب المغفرة. انا . . . انا عانقتك ايضاً، أليس كذلك؟

ابتسم وقال لها، فيما كان يتأملها بعناية فائقة:

ـ لا يمكن لفتاة مثلك ان تواجه شخصاً يغري ويحبسني. ولكني سعيد جداً لأنك لم تقاوميني تماماً . . . ولأني لم أكن ذلك القاسي والمتوحش.

ـ أوه، ريك، لا تستخدم مثل هذه الكلمات الرهيبة!

ـ انها حقيقة، أليس كذلك؟

تأملها مجدداً ثم أزاح شعرها الناعم عن عينيها قائلاً:

ـ الأفضل ان تسرّحي شعرك ثانية، أيتها الحبيبة.

احمرّت وجنتاها خجلاً وحياء، وسارعت الى تنفيذ اقتراحه بدون ابطاء. سمعته يضحك بطريقته المعهودة ويقول لها:

ـ لا أريد التسبب في أي مشاكل لك، أيتها الحبيبة.

شعرا معاً بالذنب لأنه ليس حراً . . . وما أن انتهت دونا من

تسريح شعرها، حتى فتح الباب وظهرت المرأة التي تبدو سيطرتها على ريك كسلاسل لا يمكن قطعها. كانت ترتدي عباءة خضراء عملية وينسدل شعرها بغنج ودلال على كتفيها.

عندما تحولت عيناها الخضراوان الى ريك، وجدته جالساً قرب الطاولة يتصفح بعض الأوراق المطبوعة نظرت اليه بحدة وقالت:

ـ وجدتك أخيراً! كنت انتظرك منذ اكثر من عشر دقائق. ماذا تفعل هنا؟

ـ حب الاستطلاع. هل تتصورين انك ستكتبين مذكراتك ولا تثيرين فيّ حب الاستطلاع؟

ـ بشأن ماذا؟

ـ أمور عديدة.

هزت كتفيها ثم نظرت الى دونا بعينين قاسيتين. بدت الفتاة هادئة وغير قلقة، مع ان قلبها كان يخفق بعنف لا يصدّق. توترت اعصاب دونا كثيراً عندما تخيلت كيف سيكون الوضع الآن لو ان سيرافينا شاهدت ريك يعانقها.

ـ كنت اتصور انك تستخدمين نظاراتك اثناء العمل. هل تخلّيت عنها الآن لتظهري جذابة امام السيد لورديتي؟

ـ لا، طبعاً لا.

ـ لا تكوني قاسية مع الآنسة هدسون لأني سمحت لنفسي بقراءة بعض مذكراتك.

لاحظت دونا نظرة حادة في عينيه توحي بأنه الآمر الناهي، وليس العاشق المطيع او الحارس الذي يتناول أجراً. بدا للحظة كأنه سيد سيرافينا وليس شخصاً يعمل في خدمتها وتحت امرها وسيطرتها. لا شك في انه السيد المطاع في هذا القصر، مع انه يحاول اظهار العكس. وسمعته دونا يقول لسيرافينا:

ـ سيحظى كتابك، أيتها العزيزة، بنجاح باهر.

ـ هل تعتقد حقاً انه سيحقق مثل هذا النجاح؟ اني مهتمة فقط

باعلام الناس عن حياتي العملية يا ريك. هذه هي الطريقة الفضلى، أليس كذلك؟ الأضواء فقط، وليس الظلال... تماماً كما في الأفلام.

ـ انه فعلاً الأسلوب الأفضل. ستكون مذكراتك، أيتها الحبيبة، رائعة مثلك.

ـ أيها الحبيب، انك تجعلني اشعر دائماً بأني جميلة وجذابة كما كنت في السابق. آه من تلك الأيام التي تملأ قلبي بالعواطف والأحاسيس!

طوّقت كتفيه بذراعيها وضمّته الى صدرها... وكأنها تقول لدونا انه لها وحدها. ظلا واقفين على هذا النحو الى ان سمعا طرقة خفيفة على الباب. دخل الريكو ومعه زجاجة الشراب عوضاً عن ابريق القهوة. سألته سيرافينا باستغراب:

ـ ما هذه؟ ومن طلب شراب الورد في هذا الوقت المبكر؟

ـ أنا طلبتها للآنسة هدسون. كانت تبدو شاحبة اللون وتصورت ان الشراب البارد ينعشها. انها تعمل بصورة شبه متواصلة لأنهاء كتابك، أيتها العزيزة.

نظرت سيرافينا بعصبية بالغة الى دونا وقالت لها:

ـ هل كنت تلمحين للسيد لورديتي بأني أرهقك في العمل؟

ـ طبعاً لا! أنا لم اطلب الشراب! أؤكد لك اني أبدو شاحبة بسبب عدم تعرّضي للشمس، وليس لكثرة العمل.

ـ هل تحاولين الايحاء الآن بأني ابقيك هنا لفترات طويلة، واحرمك بالتالي من عرض جسمك البريطاني النحيل فيما تقطعين امام الرجال في هذه الفيلا؟

ـ أنا لا استخدم أبداً القطعتين...

ـ أوه! هل هذا يعني انك تفضلين عدم وجودهما على الاطلاق؟

ـ أبداً، أبداً! اني اعتبر ثياب البحر المؤلفة من قطعتين زياً بشعاً، كما اني لست بالتأكيد من اللواتي يعرضن أجسامهن العارية امام احد! جئت الى هنا لأعمل، ولم يخطر ببالي ابداً ان اتصرف كالسيفة.

اني اقنع بعمل يا سيدة نيري، وأؤكد لك انني لا أتذمر من أي شيء حولي.

- اني ممتنة لسماع هذه الكلمات، لانني أنوي ارهاقك بالعمل بقدر ما يحلو لي ذلك. فأنا أدفع لك اجراً باهظاً، وأتوقع منك نتائج جيدة.

أمسك ريك بذراع سيرافينا وجذبها نحو الباب قائلاً لها بلهجة تجمع بين الحدة والمرح:

- لماذا هذه الضجة الكبيرة حول موضوع تافه كهذا؟! لديك مستودع ضخم من هذا النوع بالذات يكفي لارواء عطش جيش بكامله، وتغضبين لأن زجاجة واحدة أرسلت الى فتاة تعمل لديك بكل جد واخلاص! لم أعرفك بخيلة الى هذه الدرجة!

ابتسمت له وتمتمت بكلمات لم تفهم دونا شيئاً منها... مع انها تصورت ان سيرافينا أكدت له ان الغيرة وليس البخل هي السبب الأساسي لغضبها وتوترها. ومنذ تلك اللحظة، قررت دونا ان تظل بعيدة عن ريك... وألا تسمح له بمحادثتها مرة اخرى ما دامت تعمل في هذا القصر.

٥ - قطف النجوم يحتاج اجنحة

استيقظت دونا على اصوات زقزقة العصافير وحفيف اوراق الشجر. فتحت عينيها بدون ان تحرك رأسها، فتمتعت بمنظر اشعة الشمس الذهبية التي كانت تغطي سقف غرفتها الملون. شعرت ان الأسابيع الخمسة التي امضتها في الفيللا جعلتها تتعلق بهذه الغرفة... وأثاثها الجميل، وستائرها التي حيكت باليد. وبمحاذاة غرفتها، كانت هناك قاعة صغيرة تضم مكتبة وطاولة عمل وكنبة مريحة. وشرفة صغيرة تطل على الاسطبل. ومع ان دونا لم تتضايق من رائحة الخيل، ولكنها عرفت ان هذا هو السبب لتخصيصها بهاتين الغرفتين الرائعتين.

يزور الفيللا بين الحين والآخر عدد كبير من الضيوف. وكانت

دونا تشاهد بعضهم يركب الخيل تحت شرفتها ويتوجهون الى التلال القريبة. وعندما تذهب سيرافينا في اي من هذه النزهات المتعددة، يكون ريك معها. كان يرتدي دائماً ثياب العمل وكأنه متوجه الى الحقل. هل يفكر بأشجار الزيتون القليلة التي كان يملكها والده في جزيرة صقلية؟ وهل يفكر بأن سيرافينا لا تنوي ابداً ان يشاركها احد فيه؟ كانت دونا تتأملها بحرقة كبيرة لأنهما يبدوان متناسبين جداً لبعضهما. وفيما كانت تراقب الزوار وضيافتهم بعد ظهر يوم جميل، وهي شبه مختبئة وراء حافة الشرفة، سمعت صوتاً قاسياً يناديها باسمها. لم يكن صوت عاشق شاب، بل رجل قوي يطالبها باظهار نفسها فوراً. ظلت قابعة في مكانها، آملة في ذهابه خلال لحظات. ولكنه اقترب من الشرفة وناداها مرة اخرى.

- دونا! انا اعرف انك فوق، واشعر ان اغصان هذه الشجرة قادرة على تحمل وزني. هل اتسلقها واصعد اليك؟

- لا!

هبت واقفة بسرعة واسندت ذراعيها على حافة الشرفة، فشاهدته يجلس بكبرياء واضح على حصانه الجميل ويوجه اليها ابتسامة مرحة. قال لها بهدوء:

- اني متأكد من ان رد فعل جوليت لم يكن متعجلاً الى هذه الدرجة، عندما اراد روميو الصعود الى شرفتها.

- ربما لم تفكر جوليت بأن الشاب النحيل سيقع قبل وصوله الى الشرفة ويدق عنقه.

- اوه! هل يهمك سلامتي الى هذه الدرجة، ايتها الحبيبة؟

- لا تستخدم هذه الكلمة معي! احتفظ بكلمات الحب والغزل للسيدة تيري، التي لن يسرها ابداً ان تضبطك وانت تتحدث الي بهذا الشكل.

- الحقيقة اني اريد الاعتذار لك عن الطريقة التي حدثتك بها هذا الصباح. ارجو ان تفهمي...

- اني افهم جيداً، يا سيد. احس بأنك توليني بعض الرعاية والاهتمام، ولم يعجبها ذلك اطلاقاً. كان الامر طبيعياً للغاية... انك بالتأكيد تعجبها، وهي تحسد عليك. ولا اريد ان اكون سبب اي احتكاك بينكما. افضل ان اتركك وشأني... خاصة بالنسبة اليك.

- بالنسبة الي، لكن ليس بالنسبة لأدوين؟ انك تتوددين اليه كثيراً في الآونة الاخيرة، اليس كذلك؟ عزف وغناء بينكما تلك الامسية في الحديقة، وانت تعزفين جيداً! ماذا بشأن هذه الامسية؟ ماذا خططتما لها؟

- سيأخذني الى حفلة راقصة تقام على يخت احد اصدقائه.

حاولت دونا ان تتحدث بطريقة عادية جداً، ولكنها لم تتمكن من اخفاء التوتر والارتعاش في صوتها. فعندما فكرت بموضوع الرقص، تذكرت تلك الليلة العجيبة في روما وكيف انها امضت تلك الساعات الطوال بين ذراعي ريك. حاولت... حاولت يائسة ان تفكر بادوين على انه ريك، ولكنها لم تنجح. شعرت بأنها تريد مراقصة ريك على ذلك اليخت، وان تلتصق به ويحتضنها بقوة. تألمت كثيراً، خاصة ان اوجاع الحب اشد وطأة بكثير من الاوجاع الجسدية. نظرت اليه وهو يفتح فمه ليحدثها، فلاحظت ان ملامح وجهه تحولت الى ما يشبه الفولاذ. قال لها:

- ارجو ان تتوخي الحذر معه، يا دونا. ادوين شاب متمرس جداً في هذه المجالات، وهو يعرف كيف يستغل جاذبيته وسحره. لا اريد لك اي اذية عندما تذهبين الى ذلك اليخت. الكثير من اصدقائه لا يحظون بموافقتي التامة.

ارغمت نفسها على الضحك، وقالت:

- يا لهذه اللهجة المتغطرسة! اني اعتبرك اشد خطراً من... من ادوين.

قطب ريك حاجبيه وشعت عيناه ببريق خاطف غامض. قفز

قلبها من مكانه وقلت ان تكون فاته زلة لسانها. علق على كلامها بحدة، قائلاً:

ـ انا اعرف ادوني طوال حياته، اما معرفتك انت به فتقتصر على اسابيع قليلة. انه انفعالي ولا يتصرف الا حسب رأيه. رأيته كيف ينظر اليك... شاهدت الرغبة في عينيه!

كانت دونا على استعداد لتصدق ان ادوني يشكل بعض الخطر، وتعرف عمن ورث ارادته الذاتية. ورثها، كبعض ملامح وجهه وجسمه، عن ابيه... ريك. تظاهرت بالهدوء واللامبالاة، وقالت:

ـ لا يوجد سبب لأن تقلق نفسك بشأني يا سيد. اعرف تماماً كيف اعتني بنفسي، واعتقد ان ادوني تعلم احترام مشاعري.

كانت تخفي سرورها لأنها احست بأن ريك يغار من ادوني. وسمعته يسألها بحدة:

ـ وما هي مشاعرك هذه يا دونا؟ لا تسايري هذا الشاب، ما لم تكوني عازمة على تلبية... توقعاته.

ـ ماذا... ماذا تعني بذلك.

ـ اعتقد ان المعنى واضح تماماً. انت لست طفلة، وكذلك ادوني. واتصور انك سوف تتصرفين بحكمة اذا بقيت بعيدة عن هذه الخطة...

اغضبتها كلماته وطريقة تصرفه معها وكأن له الحق في ذلك، فقالت:

ـ اياك ان تحدثني بهذه اللهجة الآمرة! انت لا تستخدمني ولا تملكني، وسوف العب في اوقات فراغي حيثما اريد وبرفقة من اريد. احتفظ بمراقبتك الاستبدادية هذه لـ... لسيرافينا.

ـ انا اعرف تماماً انه لا حقوق لدي بالنسبة اليك. ولكني لا اريدك ان... تتضرري.

ـ اتصور يا سيد لورنتي، ان احتمال حصول ذلك سيكون اكبر

بكثير فيما لو جازفت بمشاهدتك وراء ظهر سيرافينا. اعتقد ان هذا الأمر هو مجرد لعبة مارستها مرات عديدة. واظن انك مستاء جداً لأني رفضت التورط فيها. يمكنني على الأقل، ان التقي ادوني واخرج معه بصورة علنية وبدون خوف او وجل. كنت اتصور ان امه سوف تعترض. وربما انها لم تفعل ذلك...

ـ لم ترفض سيرافينا أي طلب لادوني او تحرمه من اي شيء يريده. اذا كان ادوني يريد اللهو مع الآنسة البريطانية، فليكن. هذا هو موقفها، وهذا هو السبب في عدم اعتراضها. هناك عدد كبير من الفتيات في حياة ادوني... وهو لا يعتبرهن اكثر من مجرد دمى.

ـ وما هي بالنسبة اليك؟ هل تحسد ادوني على حريته في التمتع بحياته علناً؟

ـ الحرية كلمة كبيرة، أليس كذلك؟ لديك الحرية الكاملة يا دونا، ولكني ارجوك ان تستخدميها بهدوء وتعقل كيلا تندمي. يمكن لشابة مثلك ان تقدم على خطوة تندم عليها طوال حياتها.

ـ وهل لي ان اتصور يا ريك، انني لم اكن سأندم على قبولي اللقاءات السرية المقترحة معك؟ ما هو سبب قلقك يا ريك؟ هل انت خائف من انني سأواجه مشكلة مع ادوني، مثلما واجهت سيرافينا ذلك مع... مع ابيه؟

ـ رباه، ماذا تقولين!

كان صوته عنيفاً... وحزيناً في آن واحد. شعرت بأنها طعنته في الصميم. خيم صمت مطبق بينهما. وحده الحصان كان يحرك رأسه بتململ لأنه يريد الذهاب الى الاسطبل ليأكل. نظر اليها ريك فجأة وسألها:

ـ كيف عرفت ذلك؟ من غير الممكن اطلاقاً ان يكون احد اخبرك بهذا الأمر. انك تفترضين ذلك... تتخيلين... تتصورين!

كانت دونا مذهولة لدرجة ان شفتيها اصبحتا جافتين كقطعة من الخشب. نظرت اليه بيأس وكأنها ندمت على كلامها، ولكن

احساسها دفعها الى متابعة الحديث. قالت:

ـ انه يشبهك كثيراً. الا تعلم ذلك؟ الم تشاهد نفسك فيه ابداً؟

اخرسته الصدمة مرة اخرى لبعض الوقت، ثم قال بلهجة قاسية:

ـ حاولت على الارجح ان اتجنب ذلك. اذا كنت عاقلة، ابتعدي عنه. اتفقنا انت وانا قبل قليل ان لا سيطرة لي على حياتك، وانك حرة في مد جناحيك كيفما يحلو لك. ولكن ارجوك يا دونا، ان تعتني بها جيداً. لا يمكن للفتاة ان تحلق عالياً نحو النجوم، عندما يتكسر جناحاها الصغيران الرائعان.

ادار وجه الحصان نحو الاسطبل واختفى عن ناظرها، قبل ان تتمكن من فتح فمها لتقول له انها... انها تشعر بأن ظلام الليل الذي حل قبل قليل زحف الى قلبها ومشاعرها. انسحبت الى قاعتها الصغيرة واضاءت المصابيح القليلة فيها. كانت متأثرة جداً لأن ريك لا يشعر بأي عاطفة تجاه ادوني، ولا يرى فيه الا اخطاء شبابه هو. بدا وكأنه لم يرغب ابداً في التعرف الى الطفل او الاهتمام بتربيته... ذلك الطفل الذي تركته سيرافينا مع زوج كهل مطيع. اين هو هذا الزوج الآن؟ وهل كان هناك زوج فعلاً، ام ان سيرافينا اخترعت وجوده لتضفي على تاريخها بعض الاحترام؟ لا بد ان سيرافينا لم تتزوج احداً على الاطلاق! لا شك في انها دفعت مبالغ طائلة لأحد الاشخاص كي يعتني بأدوني، الى ان اصبح على استعداد لاعادته اليها. الرجل الوحيد في حياة سيرافينا هو ريك لورديني!

كان هكذا دائماً... ومنذ البداية. ويناسبها تماماً التظاهر امام العالم انه ليس الا حارسها الخاص. هكذا ارادت سيرافينا ان تعيش، وكأن حياتها ليست سوى رواية مثيرة.

تنهدت دونا بارتعاش... ربما كان من الأفضل لها ان تتصرف وفقاً لاقتراح ريك، وان تلغي موعدها مع ادوني. فهي لم تكن راغبة اصلاً في مرافقته الى هذه الحفلة، لانها تعرف ان معظم اصدقائه

ليسوا من طينتها. معظمهم اثرياء لا يهمهم سوى انفاق المال والتمتع بالأمور التافهة.

ذهبت الى غرفة نومها واستلقت على سريرها. يمكنها دائماً ان تتظاهر بوجود صداع قوي او ان معدتها تؤلمها. الا ان ذلك سيبدو رضوخاً لرغبات ريك... الرجل لا يحق له ان يحاول توجيه حياتها بشكل او بآخر. اذا كان ادوني مدللاً ومعتاداً على حياة المجون والفوضى، فان نصف اللوم يقع على كاهل ريك. لم يحاول ابداً ثني سيرافينا عن الرضوخ لمشيئة ابنها ورغباته، وتغطية كافة نفقاته وديونه. انها تحب ابنها كثيراً وترى في وجهه الوسيم انعكاساً لجمالها المميز.

ودقت ساعة الحائط. انها السابعة تماماً! لم يبق لديها الا نصف ساعة فقط كي تستحم وترتدي ثيابها، اذا كانت ستذهب معه. ارتبكت وترددت... لأنها تعرف ماذا سيحدث لأدوني في تلك الحفلة اذا ذهب اليها بمفرده. سينتهي به الأمر الى خسارة اموال طائلة وتمضية بقية الليل بصحبة امرأة تخون زوجها معه. لم تكن لديها اي اوهام بالنسبة الى ادوني، ولكنها تعلم انه تحسن كثيراً منذ ان بدأت تخرج معه. انه يحبها، بالرغم من عدم قدرتها على التظاهر بانه ريك. اللعنة على ريك! لماذا يتدخل في كل شيء... في افكارها، ومشاعرها، وحتى في قلبها! ارادت ان تتحداه وتذهب مع ادوني الى حفلة البيك.

خرجت من الحمام بسرعة وتوجهت الى غرفتها عبر الممر الصغير. شهقت بصوت مرتفع عندما وجدت نفسها ترتطم برجل طويل القامة. تعثرت قدماها، فامسكها بيدين قويتين بشدة وكأنه يرفعها عن الأرض. وقفت مذعورة بين ذراعيه، فيما كان يتأمل وجهها وملامحها بعناية بالغة. كان قلبها يخفق بقوة وكأنه يريد الافلات من جسمها والالتصاق بجسم الرجل الذي يعذبه ويذله.

قال لها بصوت خافت:

ـ هل تعرفين ماذا احب ان افعل لك؟

لم تكن بحاجة للرد عليه، لأنها قرأت الجواب في عينيه الجميلتين القاسيتين. شاهدت تلك الشعلة الخفيفة في نظراته، عندما سمعته يجيب نفسه قائلاً:

ـ احب ان احبسك في برج واتولى حمايتك، كيلا يتمكن احد من الخلق الأذى بك. دخلت تصيحين في اذن وخرجت من الأخرى، أليس كذلك؟ انت داعية الآن الى هذه الحفلة وتبدين نشيطة وبريئة كطفل صغير اخرج لتوه من حلم ساحر.

ـ لماذا تعارض حفلة اليخت هذه بكل هذا الاصرار؟

كان لا بد لها من ان توجه اليه هذا السؤال، لأنها لم تكن المرة الأولى التي يشاهدها فيها وهي خارجة في سهرة مع ادوين. اجابها بهدوء:

ـ يملك هذا اليخت رجل لا احبه كثيراً. فقد ادوين معه اموالاً طائلة، وانا اعرف ان الرجل يغش كثيراً في لعبه. ادوين خبيث جداً مع النساء، ويحب اللهو والعبث الى درجة كبيرة. ولكن لديه بعض الفضائل ومنها انه يكره الغشاشين، كما اكرههم انا. لم يكتشف بعد بنفسه ان صاحب اليخت يغش في اللعب، وسوف تحدث مشاكل كبيرة عندما يفضح امره.

ـ اذن، فلعلي معه عامل مشجع. انه يتصرف بشكل طبيعي عندما اكون معه.

امسك برأسها واحناه الى الوراء كي ينظر الى عينيها بهيمنة وتسلط، وسألها:

ـ وكيف يتصرف عندما تكونان على انفراد؟

ـ افضل منك.

كان عليها ان تدافع عن نفسها، وبدا ان افضل وسيلة لذلك تكمن في مهاجمته. عقد حاجبيه، ثم هاجم مشاعرها فجأة وراح يعبث بعواطفها بعنف. شعرت بأن رجليها لم تعودا قادرتين على

حملها. ابعدها عنه بعد لحظات وجيزة ثم قال لها بحدة، بعدما استعاد انفاسه:

ـ انعمي بسهرتك. الأرجح انك ستكونين معه اكثر امانا مما لو كنت معي!

وكضت عدوا الى غرفتها واقفلت الباب من الداخل وهي تلهث خوفاً. . . سمعت عن هذا النوع من الأحاسيس العاصفة، التي كثيراً ما تكون قوية جداً بين شخصين لا يحق لهما ان يشعرا بها. كان ريك يريدها. . . رأت ذلك في عينيه القويتين. ارادت من صميم قلبها ان يكون شعور ريك على هذا الشكل. . . وكانت تعرف ان هذه العواطف قد تؤدي الى كارثة.

انتهت من ارتداء ثيابها، ولكنها لم تسيطر بعد تماماً على اعصابها او عواطفها. لم تقدر على تناسي ما شعرت به عندما عانقها. . . او تناسي رد فعله القاسي الى حد ما، لأنها اضطرت لصده. . . او تناسي الكلمات القاسية التي وجهتها له، لأنها لم تجرؤ ان تكون ناعمة ورقيقة معه. كيف يمكنها ان تكون رقيقة معه، بدون ان تحصل مضاعفات لن تتمكن من مواجهتها؟

نزلت عدوا من غرفتها وهي تأمل في ان يكون ادوين قبل امه وتمنى لها ليلة سعيدة، لأنها لم تكن راغبة في دخول قاعة الجلوس. . . ومواجهة ريك. وما ان وصلت الى اسفل السلم، حتى سمعت ادوين يصرخ من الداخل بصوت غاضب مرتفع:

ـ من انت لتسمح لنفسك بالتدخل في الشؤون المالية؟ انت تقبض اجرك لتكون الرجل الذي يهابه الجميع، والشخص الذي يتبع سيرالينا كظلها ويعيش حياة البذخ والثراء على حسابها! ولكن اريدك ان تتذكر دائماً، يا بوردين، انك لست الا مجرد اجير في هذا البيت ولن اسمح لك بتاتاً بالتدخل في شؤوني.

ـ لا حاجة، يا بني، لأن تغضب الى هذه الدرجة. ريك محق تماماً فيما يقول. . . انت تخسر اموالاً باهظة منذ فترة طويلة، وانا لا

احصد النقود من الحقول . . . كما تعلم. اذا كانت هناك حفلة راقصة، فلماذا تريد المزيد من المال؟ اعطيتك مبلغاً كبيراً جداً قبل بضعة ايام قليلة.

سمعته دونا يجيب امه بصوت ناعم، قائلاً:

- اني مدين بمبلغ معين اريد تسديده. لا اتصورك تريدين ان تصبح سمعتي في الحضيض. هيا، بامكانك ان تعطيني مبلغاً اخر.

- لا تعطيه المزيد من المال، يا سيرافينا. اذا كان يريد المقامرة مع مثل هؤلاء الفاسدين، فما عليه الا ان يعمل ويستخدم دخله لهذا الغرض.

- قلت لك، يا امي اني مضطر لتسديد ديون مترتبة علي. وكما افهمتك سابقاً، يا لورينزو، اياك ان تتصرف معي وكأنك السيد هنا. انت لست اكثر من قاتل مأجور، وتتخيل ان بامكانك ادخال الفزع والهلع الى قلوب الجميع. لا، انك لا ترعبني [illegible] مهاراتك في القتال، واعرف كغيري انك قتلت ذلك الرجل [illegible]

[illegible]

- احسنت، اياك ان تتحدث مع ريك بهذه الطريقة. اريدك ان تفهم جيداً، يا ادوني اني لن احتمل حتى منك مثل هذه الاهانات او ذكر احداث جرت في الماضي. تجاهله، يا ريك.

- هذا ما افعله عادة. اني افهم منك، يا ادوني، انك ستأخذ الآنسة هدسون الى البحث «طليقة». فهل افهم ايضاً ان البعض سيقامرون؟

- ربما، ولكنني احتاج الآن الى بعض المال للوفاء بديوني. لا تنظر الي هكذا، يا لورينزو! سأهتم بدونا كثيراً. اذا كان هذا الأمر هو الذي يقلقك. لاحظتك مرة او مرتين كيف تنظر اليها. فتاة جميلة، أليس كذلك؟ شعر اشقر ناعم . . .

- العرض! اذا كنت قلقاً بالنسبة الى الآنسة هدسون، فلأني اعرف الاشخاص الذين تصاحبهم وتصادقهم. واشك كثيراً في انها معتادة على معاشرة الطفيليين الذين يعيشون عالة على غيرهم او النساء التافهات اللواتي يخن ازواجهن كما تفعل قطط الأزقة. من الواضح انها فتاة طيبة ومن عائلة محترمة. واني انذرك بأن اي محاولة من جانبك لافسادها او تشويه سمعتها، سوف . . .

قررت دونا الدخول في تلك اللحظة وابعاد ادوني عن ريك، قبل ان تحصل بينهما مجابهة لا تحمد عقباها. تصنعت الهدوء والابتسام وكأنها لم تسمع شيئاً من تلك المجادلات العنيفة والقاسية، وقالت لأدوني بمجرد دخولها:

- اوه، انت هنا! ان لم نذهب الآن، فسوف تنتهي الحفلة قبل وصولنا.

اقترب منها شامخ الرأس ثم انحنى وقبلها على خدها قائلاً باعتزاز:

- انك رائعة [illegible]

[illegible] بصورة مقصودة وقاسية، [illegible] دونا، [illegible] باب السيارة:

- اني اكره ذلك الرجل اللعين. اتمنى لو كان بالامكان اقناع سيرافينا بالتخلي عنه. ولكنه يسيطر عليها الى درجة تبدو وكأنها تعتبره قوة الدفع الأساسية في حياتها.

قالت له دونا بهدوء، وبعد ان اختارت كلماتها بدقة وعناية:

- يجب عدم التدخل بينهما. من الواضح ان والدتك تحتاجه الى حد كبير، كما انه لا يمكنك القول بأنه يتدخل حقيقة في شؤونك او حياتك.

- انه يتدخل ويصب الزيت على النار، ساعة يشاء. صدقيني، يا دونا. اللعنة عليه! ليذهب الى الجحيم!

أطلق لسيارته العنان بشكل أفزع دونا وجعلها تتمسك بقوة بمقعدها. نظرت اليه بسرعة، فلاحظت انه في مزاج عصبي بالغ يكاد يبلغ حد الانفجار. بدا متهوراً ومستعداً للمجازفة بكل شيء... حتى بحياته. وتمنت لو انها اخذت بنصيحة ريك وبقيت في الفيلا.

- ادولي...

حوّل السيارة الى جانب الطريق وهو يضغط بقوة على الفرامل لايقافها في اقصر وقت ومسافة ممكنين. وسألها بحدة:

- ما بك؟

- اني... اني اشعر بصداع خفيف. هل تسمح بأن نعود؟ لا اتصور انني سأتمتع بالحفلة عندما يكون رأسي يؤلمني.

- اعددت نفسك لهذه الحفلة وارتديت لها ثياباً رائعة. ولم اشاهدك قبلاً بمثل هذا الجمال وهذه الاناقة.

ضغط على دواسة السرعة وهو يضيف قائلاً:

- سوف تجعلين النساء الأخريات يبدين وكأنهن مجموعة من الخفافيش وصلت لتوها من الكهوف والمغاور. يغرقن اجسادهن بمعاطف الفرو والعقود والخواتم الثمينة، ولكن ليس لهن مثل بشرتك الرائعة وشعرك الجميل. هل تعرفين ان ريك يغار مني ويحسدني؟ يحسدني حتى الموت لأنك لي...

احست بتوتر شديد وعصبية بالغة لأن ادولي ضرب على وتر حساس للغاية. فقاطعته بسرعة قائلة:

- انا لست لأحد، يا ادولي. خروجي معك بين الحين والآخر في نزهة او الى سهرة او للعشاء، لا يعني اطلاقاً ان بامكانك اعتباري احدى ممتلكاتك. ارجوك، عد بي فوراً الى الفيلا. لا اشعر ابداً بأي رغبة لحضور حفلة.

- كنت راغبة جداً في ذلك عندما اقترحتها عليك. قلت بنفسك انك ستمضين وقتاً ممتعاً للغاية في الرقص على متن يخت جميل. ما هي

المشكلة، يا دونا؟ هل سمعت بعض المجادلة مع ريك، والخائفين من انني سأفسدك؟ يا للأفكار السلبية والمضحكة! من الذي يمكنه القيام بذلك؟ من الذي يعرف اكثر مني بكثير عن عصابات المقامرين، والأشرار الذين يجوبون في الأزقة المقفرة والمظلمة. انه شخص من صقلية اقسم على الانتقام، وامضى سنوات طويلة يبحث عن الرجل الذي توعد بقتله. ولتحقيق هذا الهدف، تعرف الى عتاة المجرمين والقتلة واصبح مقامراً من الدرجة الأولى. اني احسده على الطريقة التي يوزع فيها الورق. انهم يذكرون اسمه همساً في مقاهي الأرصفة والزوايا... الرجل ذو الخاتم الذهبي.

- لمن كان هذا الخاتم؟ انه خاتم زواج، اليس كذلك؟

- نعم. اخذه من اصبع امه قبل ان يواري جثمانها الثرى. طلب من سيدة عجوز في قريته ان تثقب اذنه، كما تفعل مع الفتيات، وتضع فيها حلقة صغيرة يتدلى منها الخاتم. انه الانتقام... والعنف، وهذا هو سبب اعجاب سيراقيا به. لعبت ادواراً كثيرة قاتلة في حياتها السينمائية، مما جعلها تنظر الى ريك على انه بطلها الأسمر الكبير. هذا يناسبه كثيراً لأنها لا تزال امرأة رائعة الجمال... وثرية الى درجة كبيرة.

لم تتمكن دونا الا ان تحتج بالقول:

- اعتقد ان اموراً اهم من ذلك بكثير تربط بينهما.

- ماذا، على سبيل المثال؟

- ما من شخص يراهما معاً، الا ويشعر بالاخلاص المتبادل وبتكريس حياة كل منهما للآخر.

- هل يعني ذلك كعاشقين؟ هذا هو الأمر الذي لم اتمكن ابداً من فهمه. حاولت المرة تلو الأخرى ان ادخل عليهما فجأة، أملاً في ان اراها بين ذراعيه، كي اهدم البيت على رأسيهما. ولكنه ثعلب خبيث، ولديه على ما يبدو حاسة سادسة تساعده دائماً على النجاة من الخطر. انه كالنمر اللعين، يظل متأهباً دائماً وابداً... يشم رائحة

الخطر وينجو بجلده قبل وصول الصيادين!

حاول ايقاف سيارته بعنف على رصيف الميناء، فارتطم رأسه بمقودها. لم تتعرض دونا لحادث مماثل لأنها كانت ربطت نفسها بحزام الأمان. سمعت أنينه الخافت وشاهدت في اللحظة التالية الدماء تسيل من فمه. فكت حزامها بسرعة واسندت رأسه على المقعد لتعرف ماذا حدث. تمتم بأنه متألم جداً، ثم اخرج منديله بصعوبة من جيبه ووضعه على فمه. لاحظت دونا الجرح العميق في شفته السفلى، واحست بأن بعض اسنانه تهتز وكأنها على وشك الوقوع من مكانها.

- يجب ان آخذك حالاً الى المستشفى!

رد عليها عبر المنديل المشبع بالدم الأحمر، قائلاً:

- لا بل الى طبيب اسنان. لا اريد ان اخسر أياً من اسناني... سوف اموت لو حدث لي ذلك! انت ستقودين السيارة، وسأرشدك انا الى بيته.

شعرت دونا، وهما في طريقهما الى طبيب الأسنان، باقتناع ثابت بأن ادوين هو حقاً ابن ريك ويشبهه في امور عدة. لم يتذمر او تصدر عنه اي اصوات تكشف عن آلامه الحادة، بل ظل محتفظاً بسيطرته وبقدرته على ارشادها الى منزل الطبيب بدون تردد او ارتباك. تنهدت بارتياح عندما اوقفت السيارة امام المنزل، وتمنت ان يتمكن الطبيب من انقاذ اسنان ادوين الجميلة.

امضت الساعتين التاليتين تشرب القهوة مع زوجة الطبيب، وتنتظر بلهفة دخول ادوين الى غرفة العيادة. صحيح انه تعرض لهذا الحادث نتيجة تصرفه الأرعن وقيادته المتهورة، ولكنها حزنت لحاله... واعجبت بشجاعته. ظل جالساً بهدوء منشغل بانتظار دوره، مع انه متألم الى درجة كبيرة. لم يطلب منها شيئاً سوى عدم الاتصال بأمه لأنها ستقلق عليه.

خفت حدة توترها كثيراً عندما خرج الطبيب وابلغها بأن المصاب

مرتاح لبضع دقائق، وانها ستتمكن من مشاهدته بعد قليل. واضاف الطبيب مؤكداً:

- سوف يتعافى السيد نيري قريباً. لديه اسنان ممتازة، وكان مستعداً لتحمل اي الم للمحافظة عليها. ربما سيظل أثر الجرح ظاهراً في شفته، ولكن بشكل طفيف جداً. انه شاب وسيم للغاية، ولكنه اعطى الأولوية القصوى لأسنانه الجميلة.

- هل يمكنني اعادته الى البيت؟

- سأقترح عليه البقاء هنا هذه الليلة، لأنه ليس مرتاحاً كثيراً وقد فقد كمية كبيرة من الدم. صورت فكه بالأشعة. ومع انه يبدو سليماً، الا انني افضل ابقاءه هنا بقية الليل تحت رعايتي وعنايتي. لدينا هنا غرفة اضافية يمكنك استخدامها.

لا لا! هزت رأسها علامة الموافقة، فطلب الطبيب من زوجته ان تعد الغرفة والسرير. ثم التفت الى دونا وقال لها:

- والآن يمكنك زيارة المريض.

اوصلها الطبيب الى القاعة الصغيرة التي كان ادوين مستلقياً فيها، ثم تركهما وحدهما. مد يده اليها وشكرها بعينيه. امسكت يده وقالت له انها ستختار الكلمات بعناية عندما ستخبر والدته عن الحادث. ثم اضافت بهدوء ونعومة:

- ربما عليك من الآن فصاعداً ان تأخذ بنصيحتها والا تقود سيارتك بسرعة فائقة.

شد على اصابعها وجذب يدها بأساً الى خده. علمت انه يتوسل بعض العطف، مع انه عرض حياتهما معاً للخطر. وسألته عما اذا كان لا يزال متألماً، ام انه يشعر ببعض التحسن. هز رأسه مؤكداً ذلك، فقالت له:

- يجب ان تنام قليلاً الآن. اتوقع ان احضر امك في الصباح لاعادتك الى البيت. اعلم انك تفضل حضوري، ولكنها والدتك ولها الأولوية في ذلك.

امسك يدها بقوة وكأنه يريد الاحتفاظ بها في تلك الغرفة. ولكنها سحبت يدها وقالت له:

ـ يجب ان اذهب. سأراك غداً ان شاء الله. الى اللقاء.

ارادت ان تتصل بالفيلا. بامكانها ان تتحدث مع ريك وتطلب منه ان يشرح لسيرافينا ما حدث مع ادوني. . . ولكن لا. . . فمجرد ذكر كلمة حادث عبر الهاتف سيثير هلعاً في قلب سيرافينا، ويجعلها تصر على الحضور فوراً. ادوني بحاجة ماسة لراحة تامة بدون ازعاج من احد، وسيشعر بتحسن كبير في الصباح. . . وبقدرة اكبر على مواجهة تأنيب والدته وقلقها. قررت الذهاب بنفسها، مع ان قلبها كان يرتجف مسبقاً نتيجة خوفها من تلك الطرقات الجبلية المتعرجة. شكرت الطبيب وزوجته على كل ما قاما به تجاهها، ثم قادت السيارة الرائعة الى الفيلا وهي تركز كل اهتمامها على الطريق.

ما ان قطعت نصف المسافة، حتى توقفت السيارة بعد ان توقف محركها. حاولت جاهدة ان تدير المحرك، ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل. اللعنة! ماذا ستفعل؟ لا تريد قطع بقية المسافة سيراً على الاقدام. لا تقدر على ذلك، لانها لا تعرف الطريق ولان الظلام حالك وشامل. اوصدت الباب من الداخل ورفعت النافذتين، وقررت البقاء في السيارة.

اسندت رأسها الى الوراء وتمنت مرة اخرى لو انها اخذت بنصيحة ريك. كانت الأمسية بكاملها كارثة كبيرة. عوضاً عن ان تكون الآن في غرفة نومها المريحة والجميلة، تجد نفسها في هذا الوضع الحرج الذي لا يحسدها احد عليه. وتمنت فجأة لو ان ريك موجود معها ليجعل لياليها اكثر بهجة واقل توتراً. . . ريك الذي خدعها باسلوب لم يسبق له مثيل، والذي اغاظها احياناً وكأنها فتاة صغيرة ثم عاملها كامرأة ناضجة يريدها . . . الى حد كبير. تذكرت كلامه عن النجوم التي قد تصل اليها الفتاة على جناحين صغيرين براقين. كان يعني الفتاة العاشقة. . . الفتاة التي لا تمنح حبها بسهولة، والتي

تحتفظ بقلبها وجسمها للرجل الوحيد في حياتها.

ولكن. . . لا يمكن ان يكون ذلك الرجل ريك لورديتي. لا بد لها ان تصدق كلام ادوني عنه. . . من انه امضى سنوات طويلة في حياته يعيش في الجانب المظلم للشوارع والأزقة. ربط الرجل حياته ومصيره، بامرأة تشبهه الى درجة كبيرة وتفهمه بصورة كاملة. وعندما ينتهي عملها في الفيلا، سيقولان لها معاً كلمة الوداع ويقفلان الباب وراءها.

ريك. . . اوه، ريك. . .

تنهدت، وغرقت في نوم عميق. . .

٦ - وجهه الآخر!

استيقظت دونا عندما سمعت طرقة على نافذة السيارة. فتحت عينيها وقفزت من مكانها صارخة بخوف وهلع. كان جسمها يرتجف من البرد، وعنقها يؤلمها بسبب الطريقة الملتوية التي نامت فيها.

ـ لا بأس، يا دونا، لا تخافي. انا ريك.

فتحت باب السيارة بعد ان تأكد لها انه فعلاً ريك، وقالت له:

ـ ريك! اوه، ريك! افزعتني كثيراً!

ـ يبدو انك واجهت مشكلة مع السيارة.

لاحظت ان ضوء الصباح بدأ يحل تدريجياً محل ظلام الليل، فسألته:

ـ كم الساعة الآن، وماذا تفعل هنا؟

ـ انها تمام الخامسة، وأريد ان اعرف ماذا تفعلين في هذه السيارة المعطلة. هل افهم من وجودك هنا ان ادوين لا يزال على البخت، وانك هربت منه؟

استوت دونا في جلستها وراحت تفرك عنقها بيديها، ثم قالت:

ـ لا. اخبرني عن سبب وجودك هنا.

ـ لم تتمكن سيرافينا من النوم وارادت ان تشرب فنجاناً من القهوة. احضرت لها القهوة، ثم دفعني حشريتي لمعرفة ما اذا كان ادوين اعادك الى البيت ام لا. سمحت لنفسي بفتح باب غرفتك، وعندما وجدت السرير خالياً، ظننت انك لا تزالين معه في البخت فأتيت لأعادتك الى الفيلا. والآن، فسّري لي سبب وجودك هنا بمفردك. هل حدث شيء...

لم تجب دونا على الفور، بل راحت تحلل المعنى الكامن في حديثه عن ارق سيرافينا ورغبتها في شرب القهوة. توحي كلماته بالتأكيد بوجود علاقة حميمة بينهما، حاولت دونا دائماً تجنب مواجهتها او حتى التفكير بها. تعني كلماته انه كان معها طوال الليل. عصر الألم قلبها، ولكنها سيطرت على اعصابها كثيراً كيلا تحاول الافلات من يده الممسكة بمعصمها. قال لها بانقباض:

ـ يبدو ان شيئاً ما حدث بينكما. اخبريني!

اطلعته على كافة التفاصيل، ولكن صوتها كاد يختنق عندما اخبرته بأن ادوين منعها من الاتصال بأمه هاتفياً مخافة ان تقلق وتغضب.

ارادت دونا ان تصرخ بوجهه قائلة:

ـ كانت معك! كنت تطوقها بذراعيك!

وسمعت ريك يقول باستغراب وشبح:

ـ كيف يقود بتلك السرعة الجنونية ومعه شخص آخر؟ كنت معرضة للخطر! هل انت بخير... تماماً؟

شعرت دونا بلمسة يديه، فانتفضت هذه المرة كمن لدغتها حية وقالت بحدة:

- اني . . . اني بخير. كنت اضع حزام الأمان، ولو فعل امونيو مثلي لكان الآن بخير هو الآخر. كان يقود السيارة بمثل تلك السرعة بسبب مجادلته معك!

- اذن سمعت ما جرى بيننا! انه يستغل كرم سيرافينا معه. انت تساعدينها في كتابة مذكراتها، واصبحت تعرفين بالتأكيد كم كافحت واجتهدت لجمع اموالها. هل تعتقدين انه يحق لشاب بعمره ان ينفق مال امه على هذا النحو ولا يحاول ايجاد عمل لنفسه؟ لم يتذمر اذن بسبب ذلك الألم الخفيف! وهل يثبت ذلك انه رجل؟ لم احب ولن احب فيه ابداً هذه العادة القبيحة، وهي استغلال النساء! انهن طرائد بالنسبة اليه!

ارتجفت دونا وتأثرت كثيراً لأن ريك يتحدث بهذا الشكل عن امونيو، الذي هو من لحمه ودمه والذي يشبهه في مجالات متعددة. قالت له بغضب:

- سيرافينا هي التي ستكون بحاجة للتعاطف معها عندما تسمع ان الشاب الأرعن جرح وجهه الجميل المحبوب.

ثم ابتسم بسخرية واضاف قائلاً:

- بامكانه الدخول ساعة يشاء الى عالم السينما الايطالية، مستخدماً ذلك الوجه الوسيم والقدرة على التمثيل اللذين ورثهما عن امه. ولكنه كسول وبليد . . . وطفيلي. يفضل مطاردة النساء . . . اوه، لا داعي لأن اخبرك عن هذه المسألة فانت تعرفين ذلك. وارجو الا يكثر رأسك كثيراً بهذه الحادثة الصغيرة والجرح الطفيف الذي اصابه. يجب ان تدركي ذلك، يا دونا، لأنني لا اريدك ان تحولي حياتك العاطفية الى دمار ومأساة.

- كيف يمكنك ان تتحدث بهذا الشكل عن . . . ؟

خنقت الكلمة الأخيرة في حلقها. ثم مضت الى القول:

- انه ابن سيرافينا، وكلنا نعرف مدى تعلقك بها.

- نعم، اني متعلق بها الى درجة كبيرة. ولكن الحب يجب الا

يعمي عيوننا عن اخطاء من نحب. في اي حال، فتاة مثلك جديرة بحب رجل حقيقي.

اخرج رأسه من نافذة السيارة ورفع نظره الى السماء التي بدت حمراء صافية. لم تتمكن دونا في تلك اللحظة من ابعاد نظرها عن ذلك الوجه القوي. قالت لنفسها انه وجه حنون لملاك اسود لم يجد بعد جنته الحقيقية. كيف ستشعر لو انها تمكنت من الحلول محل سيرافينا؟ كيف ستشعر او تتصرف لو كان ريك لورنتي رفيقها وحارسها . . . لو كان حبها وسوطها. وسمعته يتمتم:

- ها ان يوماً جديداً بدأ يشق طريقه الآن . . . طاهراً عفيفاً مثلك، يا دونا.

احمرت وجنتاها بسرعة وتساءلت عما اذا كان يعني ان يكون هذا الرجل الذي سيطلعها على خفايا الحب واسراره. وعاد الى الحديث معها، قائلاً:

- هل تلاحظين، يا دونا، كم نحن على انفراد؟ اننا هنا في قلب منطقة جبلية، لا يشهد على انفرادنا اخيراً يحيطنا سوى الطيور وبعض الثعالب.

خفق قلبها. انه يخص سيرافينا، ولو كانت لديها ذرة عقل لطلبت منه اعادتها فوراً الى الفيلا. نظرت الى سيارته ووصلت الكلمات الى شفتيها. ولكن الرغبة في اطالة امد اللقاء المنفرد كانت اقوى من العقل والمنطق. استدار نحوها وكأنه فهم رغبتها. ثم مد يده نحوها وقال:

- تعالي، رجلاك بحاجة لقليل من الرياضة. لنقم بنزهة قصيرة.

لم تجادله دونا، بل نزلت من السيارة وانضمت اليه. سارا يداً بيد بين الاعشاب والأزهار البرية الجميلة، يتنشقان عطرها الفواح الذي يزيد من روعته نسيم الصباح العليل. كان الصمت مخيماً عليهما، ولكن دونا كانت تعلم انهما يدركان معاً وجود ذلك التيار من الرغبة ينطلق من اصابعه مباشرة الى عروقها. كان ينظر اليها بين الحين

والآخر وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة، توحي بأفكار معينة يجب الا تسأله عنها. حاولت ان تبادله البسمة الحلوة، ولكن مسحة من الحزن كانت تغطي وجهها. انها تشعر اكثر منه بلذة الوجود معه في مثل هذا اللقاء السري، ولكن شعلة صغيرة كانت تلتهب في جسمها كلما نظر اليها. قطع ريك حبل الصمت، عندما اوقفها وقال لها:

ـ هذه هي الطريقة الفضلى لشخصين يسيران معاً. لا يتحدثان كثيراً ولكنهما يستوعبان المتعة التي يشعر بها كل منهما بسبب وجوده مع الآخر. انت تريدين ذلك بقدر ما اريده انا. هذا هو شعوري الآن.

فرحت لأن ريك يريد الانفراد بها، ولكن علاقته مع سيرافينا كانت تقض مضجعها وتذكرها بتعاستها. لم يتردد في الافصاح عن مدى حاجة سيرافينا اليه. وكان واضحاً لكل من يراقبهما معاً ان اخلاصه لها قوي لا يتزعزع. الا ان له جانباً آخر في شخصيته لا يكشف عنه الا عندما يكون معها هي... الفتاة البريطانية البسيطة!

ذابت قساوته قليلاً وجعلها تدرك انه قادر على ان يكون رقيقاً وحنوناً. بدا لها وكأنه يجد معها بعض شبابه، الذي فقده اثناء بحثه الطويل عن قاتل امه. بدا وكأنه يريد الابتعاد بين الحين والآخر عن اجواء سيرافينا المثيرة وعظمتها، وحماقاتها، وأساليبها... التي اصبح يعرفها جيداً.

وفجأة، بدت الاشجار التي يسيران بينها اقل كثافة وعدداً... وظهر لدونا الغريب بيت صغير شاهدته في حياتها. بيت غريب جداً وجميل في الوقت ذاته... تغطي جدرانه بصورة تامة نباتات واعشاب وازهار مختلفة. قال لها ريك:

ـ لا يمكنك ان تجدي مثل هذا البيت باعداد كبيرة في هذه المنطقة من ايطاليا. بنيته على هذا الشكل ليكون نسخة طبق الأصل عن البيوت التي احبها. انه منزلي... المخبأ السري الأمين.

تأملت دونا باعجاب بالغ البيت المبني من الحجارة المستديرة والمؤلف من طابقين. اعجبها القرميد الأحمر الذي يغطي سطحه،

كما اعجبتها نوافذه الضيقة، وبابه الخشبي الذي تعلوه قنطرة جميلة. ابتسم لها ريك وسألها بهدوء:

ـ هل تحبين القاء نظرة عليه من الداخل؟

هل ادرك انها ترغب في الدخول معه والبقاء هناك طوال العمر؟ امسكت يده بعصبية، فقال لها مطمئناً:

ـ لن اقدم على اي مغامرة عاطفية مجنونة، ولن احاول اي شيء معك. كل ما افكر به الآن هو اعداد الفطور لشخصين جائعين.

ابتسمت بارتياح ولكنها لم تتمكن من منع الدماء من الوصول الى وجنتيها.

ـ هل هذا هو بيتك حقاً؟ وهل تأتي اليه كثيراً؟

ـ ليس بالقدر الذي اريد.

ملاحظة هامة جداً! هل تعني انه لا يرحب دائماً بمطالب سيرافينا؟ فتح الباب بمفتاح صغير اخرجه من جيبه. اعجبتها حلقة المفاتيح التي كانت تتدلى منها قلادة خشبية جميلة حفرت عليها صورة جمل. لاحظ ريك نظرات الاعجاب في عينيها فأخبرها ان احدى عجائز صقلية، التي انت اصلاً من منطقة صحراوية، اعطته تلك القلادة منذ زمن بعيد.

ـ كنت صغيراً جداً انذاك، وقالت لي انها تعطيني اياها كي اتعلم من الجمل الصبر وطول الأناة. لا ادري لماذا احتفظت بها طوال هذه المدة! هل تريدين ان اعطيك اياها؟

ـ لا، ابداً! قد تصاب بسوء طالع لو تخليت عنها! كنت اتأمل جمالها، لا اكثر.

ـ الا تشعرين برغبة للحصول على ما يعجبك، يا دونا؟

ـ ليس عندما اعلم ان ما يعجبني يخص شخصاً آخر.

حدق بها وكأنه يقول لها انه فهم ما تعنيه بالضبط؟. دفع الباب الى الداخل ومد ذراعه داعياً اياها الى الدخول قبله. حاولت دونا ان تبدو طبيعية وهي تدخل البيت الذي وصفه ريك بأنه مخبأ سري.

وتساءلت عما اذا كان الحضر قبلاً نساء اخريات الى هذا . . . المخبأ. خافت من ان يتمكن من اكتشاف ما يجول بخاطرها فركزت اهتمامها على تأمل القاعة الرئيسية وجدرانها البيضاء السميكة. كانت هناك طاولة وعدد قليل من الكراسي، وسجّادة ملونة تغطي ارض الغرفة الحجرية. وسلم لولبي يؤدي الى الغرفة العليا، التي تصورتها دونا مشابهة لهذه . . . باستثناء وجود سرير فيها. شاهدته يخلع معطفه، ثم سمعته يسألها بهدوء:

ـ بماذا تفكرين؟

ـ لا اعرف تماماً بماذا افكر. يختلف هذا المكان كثيراً عن الفيللا. انه بسيط للغاية . . . ولم اتصورك ابداً رجلاً يحب البساطة.

فتح خزانة صغيرة واخرج منها علبة من المعكرونة مع بعض مستلزماتها الضرورية. ثم قال:

ـ كل انسان هو مخلوق مزدوج التفكير والرغبات. أحب كثيراً الدخول صباح كل يوم الى حمام عصري انيق، ولكني في الوقت ذاته اتمتع باعداد طبق من المعكرونة لنفسي . . . وفي بعض الاحيان لضيوفي.

تظاهرت بأنها تقرأ عناوين الكتب الموجودة على أحد الرفوف، وسألته بلهجة طبيعية:

ـ هل تدعو الناس غالباً الى هذا المخبأ السري؟

رد عليها بنبرة عادية مماثلة وهو يملأ القدر بالماء، قبل أن يضعها على النار:

ـ تعنين النساء، اليس كذلك؟ لا، يا دونا، انا لا استخدم هذا المكان لاقامة علاقات غرامية. . . اذا كان هذا ما تفكرين به.

ـ انا لم اكن . . .

قاطعها وهو يشعل النار، قائلاً:

ـ بل، هذا ما كنت تفكرين به. انه رد فعل طبيعي وعادي. فلماذا يريد رجل مثلي أن يبني منزلاً كهذا مخفياً بين الاشجار . . .

وليس لديه أي جيران سوى العصافير؟ هل تصدقين أنني ارغب احياناً في الانفراد بنفسي؟

ضغطت أصابعها على الكتاب الجميل الذي أخذته بين يديها، ثم سألته:

ـ هل بنيت هذا البيت بنفسك؟ هل أنت الذي وضعت القرميد على سطحه، وحفرت هذه الطيور الرائعة على خشب النوافذ؟ هل فعلت ذلك، يا ريك؟

وضع المعكرونة في الماء المغلي وسألها بهدوء:

ـ هل سيعجبك الامر لو عرفت الجواب؟ هل كنت تتصورين أنني لا أعرف شيئاً سوى المقامرة والقتال؟ لقد تربيت في صقلية، يا عزيزتي، حيث يدربون الصبي ليصبح رجلاً في سن مبكرة. علمني والدي النجارة والبناء، وعلمتني امي على كيفية استخدام الازميل والحفر في الخشب. كانت فنانة ماهرة في استخدام الازميل . . . وقتلها رجال القاها بالازميل الذي كانت تعمل به.

ـ اوه! ريك!

شعرت دونا بحزن عميق وأحست بأن الدماء ستتدفق خارج وجهها.

ـ يقال ان طفولتنا هي التي تحدد مستقبلنا في الحياة . . . وطفولتي حدّدت حياتي في ساعة سوداء واحدة. أخذ قلبي ينمو بسرعة كبيرة تخطّت بكثير سرعة نموي الجسدي. كنت لا أزال صبياً ولكن فترة اللعب ولّت ومضت. قتلوا امي، ولكن . . .

توقف فجأة عن متابعة كلامه، وسأل ضيفته المذهولة:

ـ كيف تفضلين المعكرونة؟ هل اكثر الملح أم اقلله؟

كانت تنظر إليه وهي راغبة في الاستماع الى مزيد من التفاصيل عن حياته. هذه هي فرصتها الآن، لأنه نادراً ما يتحدث عن نفسه. قالت له بتلعثم:

ـ أنا . . . افعل ما تراه مناسباً.

- لا شك في أن ادوني أضيرك ببعض الأمور عني. أعرف ذلك من الطريقة التي تنظرين فيها اليّ احياناً.

- وكيف انظر اليك؟

- كفتاة خائفة الى حدّ ما، وكامرأة يجرّها تحكّم قلب مسي.

- اوه، يا عزيزي. . .

توقفت فجأة وكأنها قالت أكثر مما يلزم. . . مع أنها شعرت بأن كلامها لم يكن كافياً. هزّ كتفيه وبدأ يمدّ المائدة الصغيرة المتواضعة، فيما كانت دونا تراقبه بسرور بالغ لأنه يعتبرها شخصاً يجد فيه التعاطف والاهتمام المخلصين. شعرت بصورة اكيدة أنه لا يحدّث سيرافينا عن ماضيه إلاّ نادراً، وأنه لا يأتي بها الى هذا المخبأ لتشاركه الطعام الذي كان يتمتع به في مطبخ أمه.

استلقت دونا على الكنبة الصغيرة فيما كان ريك يعدّ القهوة ويراقب المعكرونة. كانت تحمل كتاب العصافير في يديها، إلاّ أنّ عينيها كانتا تتأملان الرجل القوي. أحست بأنه يمضي معها وقتاً ممتعاً. . . مع أنهما سوف يتظاهران فور عودتهما الى فيللا سيرافينا بأنّ شيئاً كهذا لم يحدث اطلاقاً. الخلل الوحيد في احتمال قيام علاقة طيبة معه، هو سيطرة سيرافينا عليه.

تمنّت لو أنّ هذه الساعة لا تنتهي ابداً. . . ولو أن بامكانها تمضية مثل هذا الوقت معه كل يوم. . . تمنت لو يحل الظلام ويطوقها بذراعيه القويتين ويحبها، كما تحب. انها تعترف بحبها له! نعم انها تحبه. . . وتحبه كثيراً!

وفيما كان قلبها يخاطبه بصمت، احضر الطعام الى المائدة ودعاها الى الأكل. أضحكته طريقتها في أكل المعكرونة، وعلّمها الطريقة الايطالية الجيدة. ثم ابتسم وقال:

- هل يعجبك الطعام؟ شكراً. فكرت كثيراً في استخدام مواهبي هذه لفتح مطعم جيد.

- لا لا يا ريك، بامكاني انا أن أكون النادلة.

ضحك حتى كاد يقع من كرسيه، وقال:

- اعتقد انك تمتدحين كلامك، أيتها الصغيرة. ولكنني كالكثير من رجال صقلية الحقيقيين، لا أسمح لنفسي بتعريض جسمك الساحر الى قرصات الرجال الايطاليين.

احمر وجهها حياء، وخاصة عندما رأته يتفحصها بعينيه القويتين الجذابتين. فسألته بعد لحظات:

- انك تحب صقلية كثيراً أليس كذلك؟ هل تزورها بين الحين والآخر؟

- سوف ألقى حتفي، لو فعلت ذلك مرة.

نظرت اليه بذهول، فهز رأسه واضاف قائلاً بمكر:

- أعدّوا قبري وحفروا اسمي على بلاط الضريح. لديّ أعداء يا عزيزتي. يحدث هذا الأمر عندما يعارض احد عصابة الشر والقتل، وأنا فعلت ذلك. . . وفي اكثر من مناسبة.

فتحت عينيها القلقتين وسألته بلهفة:

- هل هنالك من خطر على حياتك. . . هنا؟

- لنقل إذن الخطر هنا أقلّ وأخفّ.

ثم صبّ القهوة مرة ثانية، واضاف قائلاً:

- لا تخافي، يا دونا، فهم لن يقتحموا هذا المكان برشاشاتهم وبنادقهم. انهم يكرهونني ولكنهم يحترمونني في الوقت ذاته. كذلك فان هذه الايام لم تعد كالسابق، عندما كانوا يقتلون الناس دونما أي خوف أو وجل من سيف العدالة. الاّ أنّ صقلية نفسها لا تزال متمردة وغير منفتحة بعض الشيء، وهذا هو أحد أسباب تعلقي بها. كنت أنوي أكثر من مرة المجازفة برؤية موطني ولو مرة أخرى ولكن. . . لدي مسؤوليات.

انه يعني سيرافينا، فهي لن تدعه يذهب الى صقلية حيث ينتظره الموت في وضح النهار أو ظلمة الليل. انه الصخرة التي بنت عليها سيرافينا حياتها. . . وهو كل شيء بالنسبة إليها. أرادت دونا أن

تفكر بمواضيع اخرى، فهبّت واقفة وقالت:

ـ سأغسل الصحون والفناجين. أشم بقليل من التبغ المحترق. . . أعرف انك تحترق للتدخين.

ـ وماذا، لو قلت لك، يا عزيزة، اني احترق للحصول عليك؟

خيّم الصمت بضع لحظات لم تجرؤ خلالها على النظر اليه. ارغمت نفسها على التحدّث بهدوء، مع ان قلبها كان بعيداً كل البعد عن الهدوء والسكينة. سألته:

ـ هل استخدم الصابون العادي أم هناك سائل معين لتنظيفه؟

ـ بامكان الصحون أن تنتظر.

سمعت تحرّك كرسيه فاستدارت بسرعة لمواجهته، لأنها خافت من أن يقدم على شيء بصورة مفاجئة. اقترب منها وهو يمشي بخيلاء كالنمر القوي وينظر اليها بعينين فولاذيتين. قال لها بصوت حزين تقريباً، تحوّل تدريجيا الى صوت جاف وخشن:

ـ اعرف. . . اعرف أني وعدتك بعدم لمسك، ولكني مضطر لذلك الآن. سوف اتظاهر، ولو لهذه المرة فقط، بانك لي. أريدك قريبة مني! أريد ما لا يمكنني ابداً الحصول عليه بعد هذه اللحظة بالذات!

شاهدت تلك الشعلة العجيبة في عينيه، وذراعاه تمتدان لتطويقها وضمّها اليه. ثم وضع يده حول عنقها، وكأنه غصن شجرة يريد اقتلاعه من مكانه. . . فيما لو حاولت تحدي رغباته وارادته. لم تفكر اطلاقاً، لأن قلبها كاد يطير فرحاً كعصفور ازرق. امسكت برأسه وجذبته نحوها برقة وتمهل.

أحست من طريقة عناقه لها أنها ليست مداعبات رجل يتمتع بوقته لفترة قصيرة فقط. شعرت بأنه يحبها ويريدها، فازداد قربها منه بشكل لم تعرفه ابداً في حياتها. كان يضمها اليه بقوة وكأنه يريد جعلها جزءاً لا يتجزأ من نفسه. داعب شعرها وشد بيديه القويتين على كتفيها حتى شعرت بأنها تحلّق على غيمة ناعمة وردية اللون. . .

بعيدة عن الأرض بعدها عن السماء. قال لها بصوت خافت:

ـ هكذا يجب أن يشعر الرجل والمرأة تجاه بعضهما، وكأنهما ليسا بحاجة الى أي شيء، إلاّ لمكان يكونان فيه وحيدين لا يزعجهما أحد. أريد أن اعرف الآن، هل عانقت في حياتك احداً آخر بهذا الشكل.

هزت رأسها نفياً وهي تشعر أنها في قمة سعادتها. داعب شعرها الناعم قائلاً:

ـ لن اغيّر شعرة واحدة في رأسك. لن اتركك انت بأي طريقة أو بأخرى. اتمنى أن تبقي دائماً هكذا، يا فتاتي البريطانية الجميلة. . . . شابة، طاهرة، عاطفية. أتصور انني أريد أن احبسك في برج عاجي بعيد عن جميع رجال الدنيا. . . لأنني لن اتمكن من الحصول عليك.

أمسك وجهها بين يديه برفق ولهفة، واضاف قائلاً:

ـ لكل منا احلامه، لكن احلامي مقيّدة لا يمكنها ان تتحرر بسهولة. انت تفهمين ما أعنيه، أليس كذلك؟ أنت فتاة اما أن يأخذها الرجل طوال حياته، أو لا يأخذها على الاطلاق.

ابتسم قليلاً ثم عانقها بسرعة وقال:

ـ نعم، ستكونين كريمة معي لأجل ذلك الصبي الصغير الذي أتى الى بيته مرّة في صقلية ليجده عابقاً برائحة الموت والألم.

ـ اوه. . . ريك!

تحرّك فمها ثانية فعاد يضمها بحنان حفاظاً على شرفها وطهارتها. وهي ذائبة بين ذراعيه. لم يكن هناك غد، ولا امرأة تدعى سيرافينا لتمد يديها الأبيضين اللتين تسيطران على ريك بشكل لا تأمل معه أية امرأة اخرى في الوصول اليه. وفجأة. . . أبعدها ريك عنه ثم توجه فوراً الى احدى النوافذ. وبعد لحظات صمت طويلة، قال لها بدون أن ينظر اليها:

ـ يلتقي أحياناً أشخاص يناسبون بعضهم، ولكن في وقت غير مناسب. عندما التقينا تلك الليلة في روما، كنا غريبين عن بعضنا، ولكننا شعرنا بأنّ كلاً منا يعرف الآخر. واعتقد أنني لو اقترحت

عليك أثناء ساعات الرقص الطويلة التي تلت ذلك اللقاء بأن نفرّ معاً، لكنك وافقتني على ذلك من دون توجيه سؤال واحد. صحيح؟

ظهرت ابتسامة جميلة على شفتيها المرتعشتين، وقالت له:

ـ ربما كنت سألتك عمّا اذا كان بامكاني احضار حقيبتي من الفندق.

قال لها بصوت حزين:

ـ انه لأمر بسيط جداً أن تحاول الاسماك بعرس فرح وتضييع بين خطوطه الذهبية الرّاقة الناعمة، أما الماضي... فالى الجحيم، لانه يحق لكل انسان يحلم من نوع ما. ولكن الأمور لا تتم عادة بمثل هذه السهولة... حتى أن نفسي اغرتني تلك الليلة بأن أحضرك من المجيء الى فيلا سيرافينا. تعلق كلّ منا بالآخر في تلك الليلة الفريدة، إلا أنه كان من واجبي ابلاغك بأنني لست حر التصرف أو قادراً على التخلص من مسؤولياتي. لم أكن حراً آنذاك، يا دونا ولست حراً الآن... ولن أكون أبداً.

ـ [illegible] يا [illegible]

[illegible] بسرعة [illegible]

ـ [illegible] اخبرني ماذا تفهمين

ـ افهم أنّ الاخلاص يعني بالنسبة اليك اكثر من... الحب.

ـ يزول الحب، يا صغيرتي، عندما تدعو الحاجة الى ذلك... عندما يخف بريق البهجة وطعم الاثارة!

مدّت يدها نحوه، وكأنها تناشده، وقالت:

ـ لا، لا...

ـ بل، يا عزيزتي، وخاصة عندما لا يمكن الاكتفاء منه بالطريقة التي تريدها له الطبيعة. ليس الحب مجرد علاقات رومنطيقية وكلمات عذبة شاعرية. انه جرح وألم لا يمكن مداواته. لا يبقى في النهاية سوى المرارة والأسى والحرقة. دماء الشباب والحيوية تسري في عروقك، أيتها الحبيبة، أمامك مجال كبير للحب في حياتك الطويلة.

يا عزيزتي دونا.

ـ انك تقسو علي كثيراً...

ـ كي أصل بك الى شاطىء الأمان.

أحسّت دونا بألم حاد يعصر قلبها عندما بدا لها أنها غير قادرة على مناقشة جملته الأخيرة، أو أن تكون سعيدة معه وحرّة في الذهاب معه حيثما يريدان. تألمت كثيراً لأنها لن تتمكن من التجوّل معه في معاهد الفنون الجميلة أو المتاحف... وهي أمور تحب القيام بها مع ريك بعد أن تعرّفت الآن الى الوجه الآخر في حياته وشخصيته، الوجه الذي لا يظهره أبداً لمن لا يعتبره أكثر من مجرد حارس شخصي ومرافق خاص لسيرافينا نيري. نظر اليها بوجه كأنه قدّ من صخر، وقال:

ـ أعرف ماذا يجول في خاطرك الآن، يا دونا.

[illegible] قوياً في وجهه ونظراته. أحسّت بأنها تريد تحطيم ذلك الجدار [illegible] يمنعها من الوصول الى أعماق قلبه. كانت تصبو بحرقة لتصبح [illegible]

ـ [illegible] يمكنك أن [illegible] تفكيري [illegible]؟

[illegible] لم تتمكن من [illegible]. شعرت بعذاب موجع لأنها فهمت أخيراً أنّ الحب يحمل معه نوعاً من الألم والحساسية.

ـ أشعر في هذه اللحظة ان تيار أفكارك هو كسلك معدني تدبّ فيه قوة من الكهرباء فيما أنا ممسك به. أنت تريدين مني الآن أن أطلعك بصراحة على سبب ارتباطي بسيرافينا الى هذه الدرجة. تشعرين بأنّ لك الحق في ذلك، وتسألين نفسك عمّا اذا كانت ثروتها الطائلة هي السبب. لا، يا عزيزتي، فالمال ليس السبب. يكفي أن أقول لك أني أفهمها... هذه الامرأة التي لا يتصوّرها الآخرون الا عاشقة مهووسة كما ظهرت في أفلامها. أنا أعرف حقيقتها، وأعرف أنّ بامكاني تحطيم قلبها. ولكني لن أفعل ذلك، يا دونا. لن أدعك

تشاركين في عملية تحطيم قلب امرأة اخرى. لن أحصل على الفتاة الطيبة اللذيذة التي أجدها فيك، أو الاحساس الرقيق المرهف الذي أراه في عقلك وجسمك. أعرف أنك تتألمين عندما أتحدث اليك على هذا النحو. ولكن تصوري الألم الذي ستشعر به امرأة تجاوزت الأربعين... امرأة تبدو في الظاهر أنّ لديها كل شيء، مع أنها في الحقيقة ضحية ظروف لا يمكنك تصور ابعادها.

صمت لحظة وهو واقف أمام النافذة ووجهه يرتدي قناعاً من الظلال، بسبب الضوء القوي الذي يأتي من الخارج. هز رأسه ومضى الى القول:

ـ أعرف أنّ بامكانك تصور ما سيحدث لهذه الامرأة، اذا تركتها من أجل ايجاد القليل من شبابي الضائع مع شابة مثلك. اعتقد أنك تعرفين ماذا سيحدث لنا فيما لو عشنا معاً ونحن نعرف ماذا حدث لها. لا... لا أتصوّر نفسي قادراً أبداً على ذبح مشاعرها.

احزنتها الكلمة التي استخدمها... الكلمة المرعبة التي تصوّر سيرافينا الجميلة الشامخة وهي تتخبط بدمائها وتبكي على اطلال قلبها المحطم. وقالت دونا لنفسها ان ريك ليس الانسان الذي يمكنه أن يقوم بمثل هذه الأعمال البربرية. خنقت دموعها في عينيها وذهبت بسرعة لغسل الصحون. سمعت قداحته مرة اخرى وشمّت رائحة الدخان. انه يدخن كثيراً... انه متوتر الأعصاب الى درجة ملحّة. وشعرت دونا فجأة بأنها ليست قادرة على تحمّل خسارته بصورة تامة. فاستدارت نحوه وقالت بعصبية:

ـ لماذا ستظلّ خجولاً الى هذه الدرجة؟ أعرف انه لن يكون لنا أي مستقبل اطلاقاً، ولكن هذا لا يعني أنه ليس بامكاننا أن... أن... اسمع، يا ريك! لسنا مضطرين لايذاء أحد. أريد أن أعرف كيف سيكون عليه شعوري عندما أكون معك... حقاً معك.

ـ تباً لهذه الكلمات! هل تعتقدين ان هذا كل ما اريده منك؟ لو كان الأمر هكذا، لحملتك الى تلك الغرفة منذ أكثر من ساعة، أنا

الانسان، يا دونا، ورجل يضج بالنار يسرني كثيراً أن اضم امرأة بين ذراعي... وأن...

شدّ شعره الأسود بعنف ثم صرخ قائلاً:

ـ ربّاه! لا تطلبي مني أن اعاملك هكذا!! اني قادر لكنّ كل نقطة دم عاقلة في عروقي تمنعني بحزم وقوة. أريد الحب معك يا حياتي، أن يكون لذيذاً وطيباً وطاهراً.

ـ ولكن الطيبة والطهارة، يا ريك، ستؤديان الى الشعور بوحدة قاتلة! ألم تكن تعني ما قلت عندما حدثتني عن الفارس الأسود الذي سيتسلّل الى غرفة نومي عبر الشرفة؟ اذا حدث ذلك، يا ريك فهل تعتقد انني سأصرخ وأوقظ الباقين.

ـ كنت أمازحك وأضايقك عندما قلت ذلك.

ـ حقاً، يا ريك؟ وهل تتظاهر الآن بأنك تتنفس بصعوبة، أم انها كثرة التدخين.

ـ أحذّرك، يا دونا، من مغبة الاستمرار في هذا الأسلوب. فأنا لست من حجر.

ـ أعرف ذلك... وأعرف ان مظهرك وسيم للغاية. وأعرف أيضاً انني كلّما اقتربت منك اشعر بأنني غير قادرة على الوقوف... اشعر بأنني اذوب وأنهار.

ـ أيتها الشيطانة الصغيرة! لا يمكنك أن تفعلي ذلك. لا تحاولي اتباع هذا الأسلوب ابداً!

حمل معطفه ورماه على كتفه ثم سار نحو الباب. فتحه ثم استدار نحوها وتأملها بضع لحظات، شعرت خلالها بأنها تذوب أمامه وتكاد تهوي على الأرض. قال لها:

ـ الى اللقاء، أيتها العزيزة. لا تظني ابداً انني لا احب أن اكون ذلك الشخص الذي سيمنحك كنوز الظلام وثروات الليل الدفينة.

دفعتها حشريتها القوية، بعد الانتهاء من ترتيب القاعة الصغيرة، الى الصعود الى غرفة النوم. شاهدت على طاولة خشبية

صغيرة قرب السرير قنديلاً صغيراً. . . وصورة امرأة ضمن اطار من الذهب الخالص. رفعت الصورة بيدين مرتجفتين وتأملتها بدقة وعناية. انها صورة أمه. . . وهذا هو السبب الحقيقي على الأرجح لرفضه احضار أي امرأة الى هذه الغرفة. أعادت الصورة الى مكانها، فشاهدت وراء الطاولة صندوقاً خشبياً صغيراً أرادت أن تعرف بعض أسراره، ففتحته. . . وشهقت اذ شاهدت فيه القناعين اللذين استخدماهما في تلك الحفلة الراقصة في روما. احتفظ بالقناعين. . . كما احتفظت هي بالوردة البيضاء. يريد أن يتذكّر كيفية اللقاء بينهما. . . ويحتاج الى شيء يحتفظ به للذكرى عندما يضطران للافتراق.

عادت الى الفيلا والألم يعصر قلبها. ستواجه الكثير من المصاعب بعد الآن، ولكنها مضطرة لتحمّلها بسبب العقد الذي وقّعته مع سيرافينا. كيف ستشعر عندما تراها بين ذراعيه؟ اللعنة! يجب أن تتصرّف معه وكأنها غريبة مهذبة. . .

تأملت الفيلا قبل دخولها اليها، فلم تجدها جميلة كالسابق. بدت كسجن كبير يجب أن تمضي فيه فترة عصيبة وأليمة. بيته الصغير أجمل بكثير ولكنها لن تتمكّن من الذهاب اليه. وترقرقت الدموع في عينيها. . .

٧ - الأصيل والبديل!

حدقت سيرافينا بصورة ابنها للمرة العاشرة تقريبا وتأملتها مليّاً، قبل أن تقول بصوت حزين.

- كان وسيماً جداً عندما أخذت له هذه الصورة قبل عام. غيّر الجرح في شفته الكثير من ملامح وجهه الجميل، يا دونا. انه يبدو الآن. . . عنيفاً وقاسياً.

كانت دونا تجلس في كرسي قرب الكنبة التي تستلقي عليها سيرافينا بعباءتها الجميلة الملونة. والدفتر والقلم بين يدي دونا، ولكنها لم تدوّن الكثير من الملاحظات بسبب حديث الممثلة المستمر عن ابنها. كانت سيرافينا تنتظر جواباً، فقالت لها:

- ليس الى هذا الحدّ، يا سيرافينا.

- ماذا تقولين؟ ألا يمكنك أن تفارقي بين هذه الصورة وما هو عليه وجهه الآن؟ أنا أعرفه أكثر منك، فلا تجادليني.

- أنا لا أجادلك. الفارق الوحيد بين العام الفائت والآن هو التغيّر الطفيف الذي طرأ على شفته. باستثناء ذلك، فهو لا يزال رجلاً وسيماً للغاية.

- رجل... نعم، هذا هو الأمر. هذا ما حدث بالضبط. أدركت فجأة أن ادوني أصبح رجلاً، ولم يعد ذلك الشاب الجميل المدلل. هل تألم كثيراً يا دونا؟ هل تحمّل الألم بشجاعة؟

أكدّت لها دونا للمرة العاشرة أيضاً أنه كان شجاعاً للغاية، وأنه تحمّل الألم برجولة وعنفوان. ثم أضافت قائلة:

- انه لم يفقد أي شيء من جاذبيته، سيرافينا، لا بل انه...

توقفت عن اتمام جملتها، لأنها تعتبر أن العملية الجراحية التي أجريت لشفته السفلى حوّلتها من شفة ممتلئة مثيرة للفتيات الى شفة قوية تعجب بها النساء. والأكثر من ذلك، أنه أكثر شبهاً... بأبيه!

تأملتها سيرافينا طويلاً ثم سألتها بصوت ناعم:

- انك تعتبرين ابني جذاباً، أليس كذلك؟

ابتسمت دونا وقالت:

- أي فتاة تتمتع بنظر عادي ولديها مشاعر طبيعية لا بد ان تجد ادوني جذاباً.

لم يحاول ادوني أبداً اخفاء اعجابه بها، وسيرافينا تعرف ذلك. انها تعرف أيضاً أنهما يسبحان معاً في البركة الخضراء الكبيرة ويتمشّيان لفترات طويلة على حافتها. لم يعد ادوني راغباً كثيراً في قيادة سيارته بسرعة... أو المغامرة. اعتاد على تسلية نفسه بالأشياء المتعددة المتاحة له في البيت... في بركة السباحة، الى غرفة الألعاب المتنوعة، الى قاعة السينما الصغيرة التي تعرض فيها أفلام سيرافينا وغيرها من نجوم هوليوود في عصرها الذهبي. اعترفت دونا لنفسها وهي تتذكر هذه الأمور بأنّ سجنها الكبير مزوّد بكافة وسائل الراحة والتسلية

والترفيه عن النفس. إلّا أنّ عذابها القوي الناجم عن وجودها قريبة من ريك وبعيدة عنه في آن واحد، أخذ في الازدياد بحيث أصبح توتر أعصابها يحرمها من النوم معظم ساعات الليل. تتألم كثيراً عندما تتخيّله في غرفة سيرافينا. وعندما لا تجد في الصباح شريطاً تسجيلياً لتدوين محتوياته على الورق، تتلوّى من آلام الحسد والغيرة. كيف يمكنها أن تحب رجلاً مستسلماً الى هذه الدرجة، جسماً وروحاً، لمطالب امرأة أخرى ورغبتها؟

- اعتقد أن ادوني بدوره يجدك جذابة جداً، أليس كذلك؟

- السبب الوحيد لذلك هو أننا موجودان معاً في مكان واحد. لا... لا أريدك أن تتخيّلي أنني أحاول القيام بأية أعمال سخيفة لحمله على التعلّق بي. أنا سكرتيرتك وممتنة جداً لك لأنك تسمحين لي بالتمتع بوسائل الترفيه المتاحة في بيتك.

أطلقت سيرافينا ضحكة فرح خفيفة، وقالت:

- لا مبرر لكل هذه الحساسية يا دونا. أنا أعرف ابني، ولا أريد أن يلحق بك أي أذى بسببه. عذّب كثيرات غيرك بتصرفاته الطائشة اللامبالية، ولكن معظمهن كن نساء يعرفن أنّ عليهن عدم التورّط معه. اني أوافق ريك في رأيه بأنك شابة من طينة تختلف عن بقية النساء. لم يكن لديك قبلاً أي مغامرات هوجاء مع الرجال، أليس كذلك؟

- لم أشعر أبداً بأي رغبة في ذلك.

احمرّت وجنتاها رغماً عنها عندما ذكرت سيرافينا اسم ريك. من المؤكد أنهما بحثا معاً في أمرها، وأنّ ريك أوحى اليها صراحة أن اهتمام ادوني بها أخذ في الازدياد. شعرت بأنّ التناقض في مشاعرها يمزق قلبها... فمعرفتها بأنه يهتم بها وبأمورها أسرّها كثيراً، ولكن تدخله في حياتها الخاصة يثير في نفسها شيئاً من الاشمئزاز.

راقبت سيرافينا احمرار وجه دونا ونظراتها الزائغة، ثم سألتها بهدوء:

ـ اوه! هل من الممكن ان تكوني عاشقة يا دونا؟ يدلّ احمرار وجهك على أنك فتاة يخفق قلبها بسرعة أكثر من المعتاد. طبعاً... الأمر ممكن جداً! ادوني ساحر في وسامته وجاذبيته، وأنت صغيرة لا خبرة لديك اطلاقاً في هذا المجال! أمل، يا صغيرتي، في الاّ يكون حاول اغراءك!

ـ طبعاً لا...

ـ أنت فتاة بريطانية وعاطفة ويجد فيك التحدّي المطلوب، بعد السهولة الكبيرة التي سجّل فيها انتصاراته على نساء كنّ اكثر من مستعدات لتلبية رغباته. أنت تجذبينه كثيراً لأنك مختلفة عن الاخريات... شعرك أشقر... وبشرتك البيضاء الرقيقة حوّلتها الشمس الى هذا اللون العسلي المثير. هل أخبرك يا عزيزتي، ان لديه خطيبة ايطالية تكمل دراستها الجامعية في فلورنسا؟

استغربت دونا أنها لم تفاجأ بنبأ خطوبته، ولم تهتم لأنه لم يبلغها ذلك بنفسه. كيف يمكنه ذلك وهو يحاول مغازلتها منذ اليوم الأول لوصولها الى الفيلا؟ تظاهرت بالاهتمام الجدي، ولكن سيرافينا بدت متزعجة لأنها كانت تتوقع ردّة فعل عاطفياً أقوى. قالت لها بلهجة قاسية الى حدٍّ ما:

ـ أتصوّر أنك تعتقدين بأنّ جاذبيتك ستكون أقوى من احساس ابني بالمسؤولية تجاه الفتاة الأخرى! يبدو لي من عدم استغرابك الخبر أنك كنت تعرفين مسبقاً خطته للزواج في المستقبل القريب.

ـ لم تكن لدي أي فكرة على الاطلاق انه مقبل على الزواج، ولكني لم استغرب سماع ذلك منك. أعرف أن العائلات في بعض مناطق العالم توافق على خطوبة بناتها بمجرد خروجهن من قاعة المدرسة.

ـ ستنهي ايزابيلا دراستها في القريب العاجل، ونعدّ فور ذلك ترتيبات الزواج. أحببت ابلاغك ذلك كي تعرفي أين تقفين بالنسبة الى ابني. لا أريدك أن تتصوري انه حر، ومستعد للتورط معك

بشكل جدي. ويعرف ادوني جيداً أنني أريد له الزواج من شابة ايطالية ووفقاً للتقاليد القديمة في بلادنا.

صمتت برهة ثم ربتت على يد دونا وكأنها تعزيها، وقالت:

ـ يجب أن تعرفي، يا عزيزتي، بأنك مجرد استراحة صغيرة في حياة ابني يمضيها بفرح وسرور قبل أن يتزوج ويستقر نهائياً. ايزابيلا فتاة طيبة وستكون زوجة ممتازة له. انها الفتاة التي اريدها له، هل تفهمين؟

ردّت عليها دونا بالايجاب لأنها فهمت تماماً هدف سيرافينا. انها لا تريد من زوجة ادوني أن تخطفه منها... تريد التحكّم بابنها وزوجته معها، تماماً كما تفعل مع ريك. لن يتمكن اي من الرجلين التخلص من الابتعاد عنها أو التحرر من قيودها الخانقة المغرية.

ـ لن تقدمي اذن على أي عمل متهوّر أو أحمق! انتم البريطانيون تسيطرون كثيراً على أعصابكم وعواطفكم، أليس كذلك؟ الكبرياء وعزة النفس قبل الاحاسيس والمشاعر؟ نحن انفعاليون وعاطفيون أكثر منكم، وأنا متأكدة من أنّ الزواج من بعضنا أفضل لنا. لدي اعتقاد راسخ بأنّ عروس ادوني الشابة ستسعده الى درجة كبيرة.

شعرت دونا بالتأكيد بأن صبية ايطالية مطيعة تخرج لتوها من مدرسة داخلية للبنات، لن تتمكّن أبداً من فرض شخصيتها وارادتها في قصر تيري. ولا شك في أنّ العروسين الشابين سيعيشان في الفيلا، حيث يظل ادوني قريباً من قبضة النفوذ ويظل مدللاً... الى أن يفقد الجسارة والسحر اللذين ربما كانا سيساعدانه على تخطي أساليبه الحالية. وعندما تنهدت دونا، بادرتها سيرافينا بالقول:

ـ آسفة، يا عزيزتي، لأني آلمتك وأصبتك بخيبة أمل مريرة. إلاّ أنه كان من الأفضل لك أن تعرفي الموضوع من كافة جوانبه.

شعرت دونا بالحسرة والألم وهي تنظر الى هذه المرأة التي تسيطر على ريك وتستعبده. انها بلا شك رائعة الجمال وجذابة الى أبعد الحدود، ولا يمكن بالتالي من توجيه اللوم الى أي رجل يعشقها

ويسلمها جسمه وروحه! ولكنها لم تعد تتحمّل التفكير بأنّ ريك يخص هذه الامرأة التي لا يهمها في الحياة سوى ارضاء نفسها! وفجأة، عادت مخيّلة الأغراء الى القول:

ـ يسرني كثيراً أنّنا أصبحنا الآن نفهم بعضنا جيداً. لن تسخري قلبك لأدوني، لو كنت فتاة حكيمة. . . مع أنني أعتقد أنه يمكنني منعه من تشجيعك على. . . التهور. في أي حال، أنت شابة بريطانية متحررة، وهذا يحدث احياناً مع معظم النساء. أتصوّر أنّ أدوني عاشق رائع. . . وربما يكون قاسياً الى حدٍّ ما، اذا كنا نؤمن بتأثير الوراثة.

شعرت دونا بتسارع ضربات قلبها. . . انها تشير صراحة الى ابوّة أدوني. وقالت لنفسها ان الشاب ورث بالتأكيد بعض القساوة عن ريك. تحرّكت في مكانها بانزعاج، فوقع الملف عن ركبتيها وتناثرت اوراقه على السجادة المخملية. جمعت الأوراق ثم وقفت تتأمّل القاعة الصغيرة، متجنبة نظرات سيرافينا وابتساماتها الخبيثة. تنهدت سيدة القصر بصوت مسموع، ثم نظرت الى ساعتها الثمينة وقالت:

ـ لا أشعر اليوم بأيّ رغبة للعمل. انها الحادية عشرة تقريباً، فلماذا لا تذهبين الى شرب القهوة؟ هيا، اذهبي. سنبدأ هذا الفصل الجديد صباح غد بإذن الله. اذهبي وادخلي السرور الى قلب ابني. ولكنك ستتذكرين حديثنا القصير، أليس كذلك؟

غادرت القاعة الصغيرة بسرعة وهي متوترة الأعصاب لدرجة فائقة. ليس بسبب خطوبة أدوني أو حديث أمه المزعج معها، ولكن لأنها شعرت بالتأكيد من رائحة الدخان المنبعثة من الغرفة المحاذية أنّ ريك أمضى الليل مع سيرافينا. ومع أنها تدرك بألم وحزن شديدين أنه ليس لديها أي أمل في الحصول عليه، الاّ أنها شعرت بحنق بالغ وعذاب قوي لمجرّد معرفتها بأنه أمضى ليلته مع امرأة اخرى. . . امرأة جذابة مثيرة تتشبه على الأرجح أنه كاد يلذيب تلك الفتاة البريطانية بين ذراعيه.

ذهبت دونا الى غرفة المكتب لتضع اوراقها وقلمها هناك. كانت أشعة الشمس تتدفّق على تلك الغرفة. . . ولكنها لم تقبل بأن تبقى وحيدة مع ذلك الفارس الأسود الصامت. ذهبت على الفور الى احدى زوايا الحديقة. أرادت الانفراد بنفسها والابتعاد عن الآخرين، ولكن امنيتها لم تتحقّق. كان ريك وادوني يجلسان الى طاولة حديدية صغيرة، يشربان القهوة ويأكلان الحلوى. لم يكن لديها مجال للتراجع، لأن الرجلين وقفا احتراماً لها وطلبا منها الانضمام اليهما. ابتسم ادوني وقال لها، فيما كان يساعدها على الجلوس:

ـ أمر جميل منك أن تأتي فتنضمي الينا.

ابتسمت له وكأنها مشتاقة فعلاً لرؤيته، وقالت:

ـ لم أتمكن والدتك من التركيز على الفصل الجديد، فطلبت مني أن اذهب لشرب القهوة.

نظرت بسرعة الى ريك، ولكن ملامحه القوية لم تتغيّر أو تتبدّل. كان يجلس بهيبة وعنفوان، وبدا قوياً عندما قال لها:

ـ يجب أن تشربيها معنا. من المؤكد أن ادوني سيبادر الى احضار فنجان اضافي. أليس كذلك، أيها الصديق؟

ـ فوراً، وبكل سرور.

مرّر ادوني أصابعه على ذراعها بحنان وقال لها:

ـ كنت تبدين قبل لحظات، قرب تلك الشجرة، وكأنك تخرجين من الظلام. ربما كان ذلك بسبب هذا الفستان الباهت اللون، أو بسبب نظرات معينة في عينيك. ستظلّين هنا ولن تهربي من ريك، أليس كذلك؟ اعتقد أنه يخيفك قليلاً.

ـ هراء! أؤكد لك، يا ادوني، بأن اعصابي قوية وثابتة تماماً وبأنني لا أخاف ابداً من السيد لورديتي. انه رجل كبقية الرجال. . . وأنا متأكدة من أن لديه جوانب رقيقة مثل أي شخص آخر، على الرغم مما يقال عن قساوته وشدة بأسه.

ضحك ادوني وقال:
ـ والحمراء، هذه فتاة شجاعة ترفض أن تدع اسطورة لوردنفي ترعبها أو ترغمها على الركوع أمامه! سأعود بالفنجان خلال دقائق.
تجمدت دونا التطلع نحوه الى أن غاب عن نظرها. شهقت بصوت خافت عندما شعرت بأصبع ريك تلمس معصمها وبذلك التيار الكهربائي يصل الى رأسها. سحبت يدها بسرعة ووضعتها مع الثانية على ركبتها. قال لها ريك بهدوء:
ـ سوف يسيء فهمك فيما لو حاولت مغازلته، يا دونا.
ـ هل هذا ما حدث معك؟ هل تتصور نفسك الرجل الوحيد هنا الذي أجده... جذاباً؟ تذكّر أنني شابة بريطانية. نحن شعب متحرر، نقفز كالنحل والفراشات من زهرة الى اخرى... ونزداد خبرة ومهارة مع مرور الزمن.
ـ توقفي عن محاولة الظهور بمظهر فتيات المجتمعات المخملية.
ارتعش جسمها لدى سماعها تلك اللهجة التي لسعتها كالسوط، ونظرت اليه بتحدّ. أحسّت بأن شيئاً منه امتد اليها ولامسها، مع انه هذه المرة لم يحرك ساكناً. قالت له، وعيناها تحملان نظرات الاشمئزاز والاعتراض:
ـ توقف عن اصدار الأوامر. لست لعبة في يديك، يا سيد لوردنفي، مع أنك تعتقد ذلك بصورة راسخة.
ـ أحب أن اعرف السبب الذي يحملك على التحدث كفتاة أكلت ليمونة مرة. ربما لأنك جائعة. تفضلي.
نظرت الى الأزهار التي تحوم حولها فراشات كبيرة بيضاء، وقالت:
ـ لا، شكراً.
ـ يجذب ذكر الفراشات انثاه أثناء فترة الاخصاب بحمل عطور فواحة على جانحيه... بعكس الرجل والمرأة، أليس كذلك؟
ـ اوه، اني لا أعرف. فرائحة التبغ وبعض أنواع الصابون

والعطور التي تستخدم بعد الحلاقة قد تفعل الأعاجيب بالنسبة الى كثير من النساء. الصور انه بامكاننا جميعاً أن نسترسل في احاسيسنا ومشاعرنا، ولكننا نقدر ايضاً أن نعود الى عقولنا... كمن يستيقظ من أحد الأحلام المجنونة التي من الأفضل نسيانها.
ـ وهل ما حدث بيننا حلم مجنون، أيتها الخبيثة؟ كان بامكاني ان اقسم آنذاك اننا في حلم مستحيل تمنّينا معاً أن يدوم الى الأبد.
أجابته بتوتر ملحوظ، قائلة:
ـ كلمة مستحيل هي التي تصف الوضع على حقيقته. لا بدّ انني فقدت عقلي الصغير عندما... عندما سمحت لك بعناقي.
نظر اليها بعينين جمّدتاها في مكانها، فيما كانت ابتسامة خفيفة خطرة تعلو شفتيه وقال لها بهدوء مذهل:
ـ أتذكّر جيداً، أيتها العزيزة، انّ المشاركة كانت متبادلة. ماذا حدث لتبدد ذلك الحنان الدافق، الذي أذكره بكل وضوح؟ كنت قصيدة من الشعر العذب الرقيق، وها أنت الآن كنثر علمي جامد. لا شك أن هناك سبباً...
ـ اوه، نعم، يا ريك. هناك بالتأكيد سبب لذلك، ولكن هل من سبب لقوله! هل تعلم رفيقتك وسيدتك أنك تقوم بهذه الأعمال خفية عنها؟
ـ رفيقتي؟
رفع حاجبيه باستغراب بالغ ونظر اليها بقسوة بالغة، شعرت معها وكأنها تريد صفعه بقوة. قالت له ببرودة:
ـ أنت تعرف تماماً من أعني.
ـ تعنين سيرافينا؟
حرّك الفنجان بأصابعه القوية، فتذكّرت دونا رغماً عنها كيف شعرت عندما لامست هذه الاصابع ذاتها بشرتها الشابة وأذابتها... أغمضت عينيها لأنها لم تعد قادرة على النظر اليه. سألها متمتماً:
ـ ألست سعيدة الآن لأننا لم نصعد تلك الدرجات معاً.

ـ الى أبعد حدود السعادة. كان لديك على الأقل ذلك القدر من الضمير الأنساني!

ـ نعم يا عزيزتي، لدي ضمير حي. ولكن يبدو أن بعض الأشخاص، يمكنهم النجاة بأنفسهم حتى بعد أن يصيبهم سهم الجاذبية القاتل.

ارتعش جسمها وقالت له على الفور:

ـ انك تتظاهر بأنّ الأمر مؤلم جداً!

ـ انه كما تقولين، وكل منا يعرف ذلك. وللأسف في الأمر أنّ الحب يبدو وكأنه ليس إلا للذين يحبون تعذيب أنفسهم.

نظرت اليه بحنق وغضب بالغين، وقالت بحدة:

ـ لن تتحدّث عن. . . عن الحب. لماذا لم تتركني وشأني منذ البداية؟ لماذا عانقتني وتظاهرت بأنك. . .

ـ أتظاهر، يا دونا؟

شعرت بأنه على وشك تحطيم الفنجان الفارغ بين اصابعه. سألته بانزعاج:

ـ ألم تكن تتظاهر، يا ريك؟ ألم تلعب دور العاشق الأسمر مع السكرتيرة الأجنبية الصغيرة الضعيفة. . . وكأنك تنقل الحوار حرفياً من أحد هذه الأفلام القديمة التي تريدنا سيرافينا أن نراها معها على شاشتها الخاصة؟ هل هكذا تستمتع بوقتك، يا ريك؟ عندما تفك الطوق من حول عنقك وتلعب بمفردك الى روما، هل تلتقي غالباً فتاة صغيرة ضائعة تسمح لك. . .

ـ اصمتي! لن تمر لحظات طويلة وانت بمثل هذا الانفعال والعصبية، حتى تنهمر الدموع من عينيك. . . هيا سيطري على اعصابك وتمالكي نفسك، فأدوني عائد الآن الينا. أتصور أنّ فنجاناً من القهوة سيساعدك كثيراً.

كان قلبها يخفق بسرعة كبيرة وركبتاها ترتجفان تحت الطاولة، ولكنها تمكنت من التظاهر بأنها على ما يرام عندما وصل ادوني ومعه

فنجانها وابريق القهوة الطازجة. انه الجحيم بذاته عندما تحب الفتاة رجل امرأة اخرى!

ـ تريدك سيرافينا أن تقابلها الآن، يا ريك. لتبحث معك بعض الأمور الحسابية، فهناك فاتورة تعتقد بالتأكيد أنها دفعتها سابقاً.

ـ سأذهب اليها.

وقف قرب الطاولة بقامته الكبيرة الشاهقة، فمنع الشمس عن دونا. ولكنها لم تنظر اليه، وتمنّت لو أنها لم تلتق به ابداً! وسمعته يقول لها بهدوء:

ـ تحلو القهوة المرّة من يديك، أليس هذا ما يقولون؟

ضحك ادوني وقال:

ـ لورنزو يتحدّث بالشعر! ماذا حدث له يا ترى؟

ثم إبتسم بنعومة واضاف:

ـ أنت جميلة جداً هذا الصباح، أيتها العزيزة. شعرك الأشقر الجميل كسنابل القمح الذهبية، وبشرتك ناعمة كالحرير المرشح بخيوط الذهب الصافي. شفتاك القرمزيتان كأزرار الورد.

ـ ادوني! يجب ألاّ تقول لي مثل هذا الكلام. أعتقد بأنّ عليك الاحتفاظ به لعروستك الايطالية.

نظر اليها ادوني بذهول ولم يتكلّم إلاّ بعد فترة صمت طويلة. قال لها:

ـ هل كان لورنزو يحدّثك عن هذه الفتاة، التي تتوقع امي أن اتزوجها في نهاية الصيف؟

ـ امك هي التي أخبرتني بذلك، يا ادوني. انها قلقة من أنّ علاقة. . . الصداقة بيننا أصبحت اكثر وداً. دعني أهنئك على زواجك المقبل. فهمت من والدتك أنّ الخطيبة فتاة ايطالية طيبة وعاقلة.

عقد جبينه بطريقة ذكّرتها كثيراً بملامح ريك عندما يغضب وقال لها:

- وهل تتصورين أنني أحب هذه . . . هذه الإيطالية؟
- الحب هو أحد العناصر الضرورية لإعداد كعكة العرس. ويبدو أنّ أمك سعيدة جداً بخطيبتك الطيبة وتشعر بالتأكيد أنها ستكون زوجة ممتازة لك.
- وأنا أشعر عكس ذلك تماماً. فالفتاة منتفخة الأوداج سمينة الجسم، ولا تعرف شيئاً عن الحياة. وافقت على الخطوبة أملاً في ألاّ تتذكرّ سيرافينا ذلك بعد حين.
وضع اصبعاً على أثر الجرح في شفته وحدق بذهول في فنجانه الفارغ. صبّ لكل منهما مزيداً من القهوة، وقال:
- يجب أن ألغي هذه الخطوبة السخيفة! رباه، لا يمكنني أن أتزوج فتاة . . . جاهلة بسيطة مثلها. كيف يمكنني أن أتعهّد لها أمام الكاهن بأنّني سأحبها وأرعاها طوال العمر؟ طردت هذه الفكرة من رأسي معظم الوقت، ولكنه يبدو أنّ أمي متشبثة بالفكرة حتى النهاية. يا للهراء!
رفع رأسه فجأة، فلاحظ أنّ دونا تنظر اليه. ابتسم وقال لها بسرعة:
- سأخبر سيرافينا بأنني أريد الزواج منك!
صعقت دونا ومنعها الذهول عن الكلام، فمضى ادوين الى القول:
- أشعر معك بارتياح كبير. وعندما ألمسك أو أقترب منك، تتفجر في نفسي أحلى المشاعر.
- هذا ليس حبا!
اقترب منها وقال لها، فيما كان ينظر اليها بعينين برّاقتين:
- أنت لست طالبة مدرسة، يا دونا. أنت تعرفين، كما أعرف أنا، أنّ الحب في معظمه حسي . . . مع قليل من التحسس والنعومة، وقليل من المشاكسات العادية المتعارف عليها بين الرجل والمرأة. أريد ليلة عرسي أن أشعر بالدفء والترحيب. لا أريد تلميذة صغيرة

ترتجف بين ذراعي ولا تعرف كيف تسعدني وتحلّق بي على أجنحة السرور. أريد شعرها الناعم أن يغطي الوسادة.
اشتعلت عيناه شغفاً وهياماً، وشاهدت فيهما دونا ذلك الشبه القاتل للرجل الوحيد الذي يمكنه أن يهز عظامها بنظراته ويدخل الى صميمها بسطوته وجاذبيته.
- أرجوك، يا ادوين، ألاّ تتحدث معي بهذا الأسلوب. نحن نعرف تماماً أنه لا يمكننا أن نكون أكثر من مجرد صديقين. هيّا، خذ قطعة من هذه الحلوى ولنتحدث عن شيء آخر.
- يا لانسانيتك، أيتها الحبيبة! انك تهتمين بمشاعر الناس الآخرين، مع أنّ هناك عدداً ملحوظاً من النساء اللواتي لا يحببن سوى أنفسهن. ينصبّ اهتمامهن كله على أشكالهن، وعلى ما يقوله الناس عنهن. تمضي مثل هذه النساء أعمارهن وهن يعتقدن بأنّهن وحدهن محور اهتمام الرجال ومحط انظارهم. حتى امي . . .
توقف عن الكلام فجأة وهز كتفيه ثم رفع فنجان القهوة الى شفتيه وقال لها بعد لحظات:
- سيرافينا هي امرأة يجب أن تدلّل دائماً . . . وأن تحصل دائماً على ما يسعدها ويرضيها، بما في ذلك مسألة زواجي. اخبريني، هل لاحظت آثار جروح في معصميها؟
هزت دونا برأسها ايجاباً. كانت الجراح كخطوط رفيعة جداً . . . ولكنها لم تكن حديثة على الاطلاق. وتصوّرت أكثر من مرة أنّ سيرافينا ربما حاولت الانتحار في احدى فترات حياتها.
- حدث ذلك قبل ثماني سنوات، واعتقد أن لزيك علاقة بالأمر. انهما يحيطان علاقاتهما بسرية تامة، ولكنني أتصوّر أنه أراد المزيد من الحرية. لديه نادٍ في روما يديره له شخص آخر، وأظن أنه أراد القيام بدور أكبر في ناديه . . . ولكن أمي تحتاجه باستمرار ولا تعرف كيف تعيش بعيدة عنه.
تنهّد ادوين وصمت برهة ثم عاد الى متابعة حديثه قائلاً:

- لا اعرف تماماً مدى حبه لها. ولكني كما قلت سابقاً، انها تحتاج اليه بشكل يائس لا يصدَّق. وكي تعاقبه حتى على التفكير بالابتعاد عنها قليلاً، أخذت شفرة حادة وقطعت معصميها بها. شيء مقزز، أليس كذلك؟ ولكن بعض النساء يذهبن الى مثل هذه الأبعاد لتحقيق اهدافهن ومآربهن.

تأمل دونا طويلاً وكانت أصابعه تنقر بعصبية بالغة على الطاولة ثم قال:

- اتصور انك مستعدة للعيش في جحيم لا يطاق، قبل ان تفعلي شيئاً مماثلاً لرجلك.

أشعر بالتأكيد انك انسانة تحب العطاء الجميل والأعمال الخيِّرة. أنت في خارجك كما في داخلك. ولا تعرفين أن من النادر وجود فتيات مثلك في هذا العصر بالذات. تعجبني صفاتك هذه الى درجة كبيرة، وهذا ما أريده في زوجة المستقبل. أريدك أنت يا دونا. أريدك أنت!

أمسك بيديها وجذبها نحوه قائلاً:

- أريدك أن تكوني لي... أن تكوني خطيبتي، جذوري، امرأتي...

- لا؟!

افلتت منه وهبّت واقفة ثم قالت له بحدة:

- لا يمكنك أن تفسخ خطوبتك هكذا، وتحطم بالتالي آمال الفتاة واحلامها. في بلادي لم يعد هذا الأمر يهم كثيراً، لأن عدداً كبيراً من الناس لا يتطرقون الى مواضيع الزواج بجدية تامة. أما هنا في ايطاليا، فالمحافظة على كلمة الشرف لا تزال امراً هاماً للغاية...
وانت تعرف ذلك جيداً يا انزو!

- يمكننا أن نهرب معاً الى مكان بعيد و...

شعرت دونا بأن عليها أن تقول شيئاً يضع حداً نهائياً لهذا الحديث الرومنطيقي الفارغ والسخيف. قاطعته قائلة:

- وماذا تفعل للحصول على المال؟ يشتغل الناس عادة في العالم الحقيقي، يا انزو. انهم لا يعيشون برفاهية وترف دونما أي جهد أو عمل... كما تفعل أنت حالياً في عالم امك الخيالي.

حدّق بها طويلاً ثم اشتعلت عيناه وكأنّ عود ثقاب مشتعلاً ألقي على كدسة من الأوراق فهبت النار فيها. شاهدت في عينيه شيئاً مرعباً ومذهلاً لا يشبه نظرات رنك اطلاقاً. اطاعت حاستها السادسة وولت هاربة نحو المكتب، ولكن انزو لحق بها قبل ان تتمكن من اقفال الباب وامسك بكتفيها. ادارها نحوه بعنف بالغ وكان الشرر يتطاير من عينيه كقط بري متوحش ينقض على فريسته. حاولت التملص منه وهي تصرخ:

- اتركني! اتركني!

غرز اصابعه في جسمها حتى بلغت عظامها، وصرخ بها بوحشية:

- سوف اعلمك درساً قاسياً، أيتها السليطة اللسان!

رفعها بقوة بين يديه ثم رماها بوحشية على الأرض وانقض عليها. أمسك شعرها بيد ومزق ثيابها باليد الأخرى. ضربته بعصبية ورفسته بغضب، ولكنه بدا قوياً جداً وغير آبه بما تفعله. وتذكرت برعب ما قرأته مرة... من أنّ الرجل الذي يصمم على أمر كهذا قد يقتل المرأة في ذروة غضبه من دون أن يعرف انه يفعل ذلك.

- اذن قلتِ لا تريدين الزواج مني؟ سوف تطالبينني بذلك وتتوسلين إليّ ألاّ اتركك أبداً بمجرد أن انتهي منك الآن، أيتها القطة الشقية!

كان كابوساً مرعباً... وكانت كلما ازدادت محاولاتها للتخلص منه، ازدادت قوته ووحشيته.

- ارجوك، يا انزو! أتوسل اليك!

- توسلي، توسلي أيتها الفاجرة ذات البشرة... الجميلة! توسلك أجمل موسيقى أسمعها.

ثم لكمها بقوة على فمها، مما أدى الى جرح شفتها، وصرخ بها:

ـ توقفي عن المقاومة، ما لم تكوني راغبة في التعرّض لأذى أفدح مما هو ضروري.

ـ ادوني، انك تتصرّف كانسان مجنون. . . اوه، ربّاه، توقف عن ذلك!

ـ نعم، أنا مجنون بك. ولكنك تحبين أن يبقى الرجل على مسافة معينة منك والاّ يأخذ حريته معك. . . ما رأيك بهذه الحريات الصغيرة الآن؟

تألّمت، فزعت، شعرت باشمئزاز لا يمكن تخيّله. حتى وجهه بدا متغيّراً الى درجة مذهلة. وشعرت بيده تتسلل الى خصرها! ادوني! أهذا هو ادوني، الشاب الوسيم الذي شعرت نحوه ببعض العطف والمحبة لأنه جزء من ريك! غرزت اصابعها في السجادة السميكة واستعدّت للحظة الحاسمة التي ستقدم فيها على محاولاتها الأخيرة لابعاده عنها. وما أن تحرك قليلاً، حتى جذبت رجلها و[illegible] ركبتها ضربة قوية مؤلمة دونما أي اهتمام أو وخز في الضمير. [illegible] جملة [illegible]
[illegible] البرق [illegible]
[illegible]
سرعتها، يدفعها الى ذلك خوف وهلع لم تعرف لهما مثيلاً في حياتها.

لم تنتبه الى أنّ ثيابها وجسمها ترتجف كورقة في مهب الريح. كانت شفتها الدامية تؤلمها كثيراً، وكذلك رجلها وظهرها. ماذا حدث لادوني؟ كيف يتصرف على ذلك النحو المجنون؟ وبدا وكأن الشيطان دخله وجعله شخصين مختلفين. لم تكن تتخيّل أو تحلم بأنّ هذا الشاب اللطيف الساحر يمكن أن يتحوّل فجأة الى شخص شرير فاسق. . . الى حيوان مفترس.

ضمّت قطع الثياب الممزّقة الى صدرها واستدارت لتذهب الى شقتها الصغيرة. . . ولكنها توقفت فجأة. كان ريك يقف أمامها بقامته الطويلة القوية ينظر اليها بعينين فولاذيتين غاضبتين. تضايقت

كثيراً لأنّ نظراته كانت مركّزة على نصفها الأعلى شبه العاري، وطالبها باطلاعه على التفاصيل. . . .

٨ـ الحلم المستحيل

ـ و. . . وقعت.

قالت تلك الكلمة وهي تشدّ القطع الممزقة الى صدرها وتنظر الى الأرض.

ـ لا بدّ أنك وقعت بقوة كبيرة!

اقترب منها قليلاً فتراجعت بسرعة الى الوراء، لأنّ الصدمة التي خلّفتها محاولة ادوني الشريرة كانت لا تزال قوية جداً في نفسها. شاهد ريك في عينيها نظرات امرأة حزينة تعرّضت لحادثة بشعة، فقال لها بنبرة جدية:

ـ تركتك مع ادوني.

لاحظ فجأة شفتها المتورمة، فاتسعت عيناه حنقاً ودهشة وصرخ

قائلاً:

ـ رباه! ما هذا؟

قاطعته بعصبية بالغة، قائلة:

ـ اتركني يا ريك. دعني اذهب الى. . .

قال لها والشرر يتطاير من عينيه المشتعلين غضباً وذهولاً:

ـ هل فعل ذلك بك؟ هل حاول؟

ـ ارجوك، أريد الذهاب الى غرفتي.

حاولت السير فتصدّى لها. حبس الخوف أنفاسها، ولكنها تمكّنت أن تقول له:

ـ تشاجرنا، هذا كل ما في الأمر. مزّق فستاني ولكني لا. . . لا أظن انه كان يعني ذلك.

ـ هل صفعك او لكمك؟ أم انه فكّك عنوة ورغماً عنك؟

ـ وقعت. . . وارتطم وجهي بالأرض. أرجوك يا ريك، أريد الذهاب الى غرفتي لاستبدال ملابسي.

ـ يا فتاتي العزيزة، لا تدافعي عن الوحش اذا كان فعل ذلك بك!

نظرت دونا الى وجه ريك وفهمت لأول مرة سبب اشمئزازه من ادوني، بالرغم من تأكدهما أنّ دمهما واحد. قال لها مرة أنّ في نفس ادوني شيئاً من الوحشية القاسية، وعرف الآن بمجرد تأمل حالتها أنها وقعت ضحية له. اقترب منها ريك خطوة اخرى، وسألها:

ـ ماذا حاول أن يفعل معك؟ لا تخافي، يا صغيرتي. فأنا لن ألحق بك اي اذى ولن أمدّ يدي اليك! ولكن اذا تعرضت للأذى على يد ادوني، فاني سألقنه درساً قاسياً لن ينساه في حياته. اخبريني، يا دونا، ماذا حدث!

كان آخر شيء، تريده الآن ان يفقد ريك اعصابه تماماً، لانه قوي جداً وقد يقتل ادوني اذا ذهب اليه بمثل هذا الغضب العارم فقالت له:

ـ قلت له جملة سخيفة جعلته يشتعل غضباً. أرجوك، اعتبر الموضوع وكأنه لم يكن. سأطلب من سيرافينا ان تحقق من

مسؤوليتي، لأنني قررت مغادرة الفيلا بأسرع وقت ممكن. انه أفضل حل. . . بالنسبة الى الجميع.

- لا يمكنك أن تذهبي!

اتسمت ملامح وجهه بالعنف والوحشية، وتنازعت قلبها مشاعر متضادة متناقضة. . . فمن ناحية كانت خائفة مذعورة من النتائج المحتملة، ومن الأخرى كانت مسرورة لأنه لا يريدها أن تذهب. ولكنها لم تتمكن من تجاهل التصرفات الوحشية القاسية التي ورثها ادوني عن ريك.

- لن ادعك تهربين من ذلك الوغد الحقير! لست مضطرة. . .

- بلى، يا ريك.

حاولت تجاوزه ولكنها كانت تهوي على الأرض لمجرد احتكاكها به. رفعها بين ذراعيه القويتين وأخذها الى غرفتها. أغلق الباب برجله، فيما كان يضمها بقوة ويدفن وجهه في شعرها. وسمعته يتمتم قائلاً:

- سأقتله لو انه نال منك مأربه! يجب ان اعرف الحقيقة، يا دونا، وإلاّ فقد أصاب بالجنون!

كانت ترتجف بقوة ولم تكن متأكدة مما اذا كانت خائفة من ريك أم لا. اوه، لا. . . لا يمكنها ان تلوم ريك على الشر الذي ظهر بأدوني.

- لا. . . لم يصل الى هذا الحد.

لاحظت فجأة بأن ذراعيها زحفتا بإرادة ذاتية وطوقتا عنقه. اقتربت منه لتشعر بقوته. . . وحمايته التي تحتاج اليها الآن بصورة ماسة. ثم مضت الى القول:

- لم تعد الأمور بأيدينا. غضب ادوني كثيراً لأنني حدثته عن خطوبته. . . اخبرني عنها سيرافينا ولكني لم أكن أتصور أو احلم بأنه. . . بأنه سيغضب الى هذه الدرجة. فهو لا يريد الفتاة الايطالية. . .

- لا، انه يريدك انت! فأنت نوع جديد من الألعاب والدمى التي

يمكن الحصول عليها وتحطيمها بين يديه المدمرتين. ولكني سأكسر يديه اذا وضعهما ثانية عليك!

تحدث بعنف شرس مع انه كان يحملها برقة وحنان.

فأجابته بمحبة وحنو:

- ريك، لا يمكنني ان أبقى في الفيلا. يمكنك بالتأكيد ان تفهم ذلك!

- لن أدعك تذهبين، وأنت تدركين ذلك!

- لست منطقياً ومتعقلاً الآن يا ريك. لديك سيرافينا. . . وتعرف كلانا أنّ ما من طريقة على الاطلاق لتجاهل وضعها بالنسبة اليك. انها تمتلكك جسماً وروحاً.

ظهر الغضب في صوته الشاكي عندما سألها بحدة:

- هل تعتقدين ذلك حقاً؟ هل تظنين أنني مجرد نسخة اكبر عن ادوني، الذي لا هدف له من بقائك هنا سوى تلويث تحفظك وطهارتك وعفتك؟ نعم. . . أفهم، الى حدٍّ ما، ماذا تفعلين بنا! يريد الفاسدون دائماً جرّ الطيبين والنظيفين الى أوحالهم. انه شعور أساسي لا يمكنهم السيطرة عليه. وهذا الأمر في ازدياد متواصل مع الناس.

أليس من النادر في هذه الأيام ان يلتقي الرجل شابة تحترم نفسها بصورة فعلية وحقيقية؟ ايجاد فتاة كهذه كايجاد جوهرة ثمينة على حافة نهر. يجب ألاّ تنفردي مع ادوني مرّة أخرى اطلاقاً. هل تسمعين ما أقوله لك؟

- انني ناعسة، يا ريك. أرجوك، اصغ لما أقوله. . .

أغرق بقية كلماتها في عناق حنون. فرقص قلبها فرحاً وسروراً والتفت برأسها على ذراعه. . . ونسيت كل شيء. كانت تعرف تماماً أنها لن تقدر على مقاومة ريك، اذا بلغت منه عواطفه حداً ينسيه ضميره وفروسيته. نعمت بشعور القرب منه وسمعته فجأة يتمتم قرب اذنيها:

- لا تتركيني يا دونا. أنا لا أتوسل أبداً في حياتي، ولكني أريدك ان تبقي حتى تضطر الى قول كلمة الوداع.

الوداع! كلمة حزينة جداً تضع مسافة باردة بين أشخاص يتوقون الى القرب والدفء. انها تكره هذه الكلمة وما توحي به. ضمته اليها بقوة وأغرقت وجهه قرب قلبها . . . حيث كانت ترتعش حباً.

- ريك! أيتها الحبيبة الغالية! لا يمكنك ان تعرفي، ولا يمكنني أن اصف لك مدى الوحدة والعذاب اللذين اشعر بهما لمجرد التفوّه بهذه الكلمة! ابقي يا فؤادي، وسأضمن لك ان اندرو لن يزعجك أبداً بعد الآن. انه وعد ثابت يا عزيزتي، وأنا لا أحنث أبداً بالوعد.

ظلّ جسمها ساكناً في حين كان قلبها يرتعش بين ضلوعها . . . لم يكن لديها اي شعاع من الأمل، ولكنها ستبقى . . . لأنه طلب منها ذلك. اضطرت للاستسلام لرغبات قلبها، مع أنّ عقلها سخر منها ووصفها بأنها سخيفة وغبية . . . سخيفة لأنها تعرف أنّ لياليه كلّها لسيرافينا، في حين ليست لديها هي سوى لحظات وجيزة يسرقها معها أثناء النهار. شعرت بالقبلة الحارة فوق عينيها المغمضتين، وسمعته يسألها:

- لن ترفضي طلبي يا دونا، أليس كذلك؟ سوف أتأكد بنفسي من ان أندرو لن يخيفك مرة اخرى بعد الآن.

فتحت عينيها وحدّقت بعينيه الجميلتين وبالشعلة الصغيرة التي بداخلهما، وقالت:

- ريك، أرجوك ألاّ تفعل شيئاً معه او تضع يدك عليه. لا مبرر لذلك. ربما ستغضب سيرافينا منك. انت تعرف كم هي متعلقة به!

- نعم، وللأسف جداً انّ هذا التعلق لم يكن لصالحه. ثم . . . لماذا قلت انه لا مبرر لتأديبه بالطريقة التي يستحقها؟

ابتسمت دونا رغماً عنها وقالت:

- وجّهت . . . اليه ضربة قوية جداً بركبتي. وأتصور، من صرخة الألم التي أطلقها، انني أصبت الهدف.

ردّ ريك رأسه الى الوراء وضحك بصوت مرتفع، قائلاً:

- رائعة! ستضعه هذه الضربة في مكانه الصحيح ولو لفترة!

عادت الجدّية فجأة الى ملامحه، فأمسك بوجهها وقال لها بحنان:

- ستبقين، أليس كذلك؟

- يفترض بي ألاّ ابقى يا ريك. لو كانت لدي ذرّة عقل واحدة، لجمعت أغراضي اليوم وغادرت الفيلا قبل ان يحدث شيء آخر. ماذا يحدث لو ضبطنا معاً على هذا الشكل . . . وأنت في غرفة نومي؟

ضمّها بقوّة ثم أنزلها الى الأرض بهدوء وحنان. تأمل غرفتها باعجاب، ناظراً للبساطة الجميلة في اثاثها، وقال:

- انها غرفة جميلة ومريحة وهادئة، وليست عابقة برائحة العطور المزعجة.

- فقط برائحة الخيول. تطلّ هاتان الغرفتان على الاسطبل.

- ألاّ يزعجك ذلك؟

- أبداً. أحب رائحة الخيول وأصوات حوافرها.

- يجب أن نقوم معاً بنزهة على ظهور الخيل. لدينا هنا مجموعة رائعة.

جمعت دونا القطع الممزقة وضمّتها الى صدرها، وهي تحاول الظهور بأنّ الامر عادي جداً. ولكنها شعرت بأنّ ريك يقاوم عواطفه بعنف بالغ . . . وتمنّت في لحظة مجنونة ان تكون عواطفه اقوى من ضميره.

- لأجلك انت يا دونا، سأمتنع من تحطيم فك اندرو . . . مع أنني احب كثيراً القيام بذلك. كلّما أسرع في الزواج من تلك الفتاة، كان ذلك أفضل له. سيتمّ الزواج من دون اي تأخير، مع أنني اشعر بالأسف الشديد لهذه الفتاة!

سار نحو الباب ثم وقف عنده ووجّه اليها ابتسامة خفيفة، قائلاً:

- حتى نلتقي مرّة ثانية!

هزّت له برأسها موافقة، فحيّاها وغادر الغرفة ثم أغلق الباب

وراءه. خلعت ثيابها الممزقة وارتدت عباءة جميلة، ثم وضعت دواء على شفتها وبدأت تسرّح شعرها. استلقت بعد قليل على سريرها منهكة، تؤلمها شفتها والرضوض التي سبّبها لها ادوني. ولكن الألم الداخلي كان أقوى وأشدّ... وأكثر صعوبة على التحمل.

وافقت على البقاء وهي تعرف أنّ القرار صعب للغاية. انه بيت تظلله احداث الماضي، ومحاولة سيرافينا الانتحار لمعاقبة ريك على مطالبته بالحرية لادارة ناديه في روما. كيف سيكون ردّ فعلها اذن اذا ضبطته مرة يعانق سكرتيرتها؟ لقد تمكّن حتى الآن من ممارسة ضبط النفس والسيطرة على عواطفه ومشاعره، ولكن دونا تعرف أنه في كل مرة يضمها اليه يقترب أكثر فأكثر من التخلي عن تلك السيطرة. وابتسمت بشيء من الارتياح لأنّ رجلاً قوياً كهذا يريدها الى هذه الدرجة.

ولكن ابتسامتها اختفت بصورة تدريجية، لأنه لم يكن لديها عوضاً عن مشاعرها سوى الوحشة القاتلة التي لا تفهم الفتاة معناها الحقيقي الاّ عندما تلتقي رجلاً يعني لها كل شيء في حياتها... رجلاً مثل ريك تجد في لمساته وكلماته سحراً وجاذبية لم تجدها أبداً في أي رجل آخر. تألمت... وبكت... ونامت. وعندما استيقظت، وجدت الطعام قربها... وعلمت بارتياح وسرور أنّ ريك أراد لها أن تتناول طعامها بهدوء بعيداً عن الضجيج ونظرات الاستفسار. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، دس لها تحت باب غرفتها ورقة ارتجف جسمها بارتياح عندما قرأتها.

قال لها ريك في تلك الورقة ان ادوني ارسل للاقامة مع اهل خطيبته... لأن ايزابيتا ستصبح قريباً في الثامنة عشرة من عمرها، ولأنّ الوقت حان كي يتعرف الخطيبان على بعضهما. تنهّدت بارتياح، مع انها شعرت بالأسف تجاه تلك الفتاة التي وافق أهلها على زواجها من شخص غريب عنها ولم تشاهده سوى مرة واحدة في حياتها. وتساءلت دونا عما اذا كان هناك أمل حقيقي في أن يستقرّ ادوني

ويعيش مع تلك الفتاة كزوج مخلص. وتمنّت ذلك، حفاظاً على كرامة الفتاة ومشاعرها.

ومرّت الأيام القليلة التالية بصورة شبه عادية، وكانت دونا تتمنّى طوال الوقت أن يدسّ ريك ورقة اخرى تحت باب غرفتها يقول لها فيها أنّ عليها موافاته في موعد معين الى بيته الصغير... المخبأ السري. ولكنه لم يفعل، وبدا وكأنه قيّد احاسيسه ورغباته بالحديد... وانه لن يضع يده عليها ثانية.

ـ لا اشعر اليوم بأي رغبة في العمل. هيّا اذهبي والهي بوقتك، يا دونا. اخبرني ريك انك تركبين الخيل بطريقة جيدة. هيا، اختاري حصاناً واذهبي في نزهة طويلة.

ـ ولكننا لا نشتغل كثيراً هذه الأيام. انا اتيت الى هنا لأعمل و...

ـ هل تشعرين بالملل يا دونا؟ انت تقبضين اجرك الجيد يا عزيزتي، بغضّ النظر عمّا اذا اشتغلت أم لا. وربما يقول البعض انك محظوظة جداً للعمل معي.

ـ انا محظوظة، ولكن...

ـ ولكن ماذا يا عزيزتي؟ هل هناك شاب بريطاني ينتظرك بفارغ الصبر، ام انّ هناك سبباً آخر للتعجيل بانهاء مذكراتي؟ هل هناك شخص لا يعجبك، ام ان هناك شخصاً يعجبك اكثر من اللزوم؟ هل يعجبك مثلاً احد الرجال العاملين هنا؟ هل يضايقك كثيراً أم انه لا يشعر بوجودك على الاطلاق؟

ـ اشعر بالذنب لأني اقبض اجراً على عمل لا أقوم به، انا سكرتيرة، ولست ضيفة في هذه الفيلا.

ـ يجب ان تفرحي عندما اعاملك كضيفة. هناك اوقات تدهشيني فيها، ايتها الفتاة البريطانية. هل يخفي صقيعك ناراً وراءه، يا ترى؟

ركبت دونا الحصان ستوربوني الذي اختاره ريك لها خصيصاً، وتوجّهت الى الوادي. كان العمال يحيّونها ويقدّمون لها الفاكهة،

فتقبل منهم بعضها شاكرة وتواصل طريقها. وكانت قد صادفت أثناء نزهاتها السابقة بعض العاملات في تلك الحقول الغنية. ودعتها احدى العاملات، اسونتا، الى حفل زواجها... قبلت دونا بسرور لأنها متشوقة لحضور حفل زفاف ايطالي تقليدي.

سألت سيرافينا صباح اليوم التالي اذا كان بامكانها حضور العرس، فأجابتها السيدة بأنّ الشبان هنا سيختبرون محبتها وجدية طويلاً على استعدادها لأي شيء. واضافت:

- الأفضل ان تدعي بصحبة ريك.

ذهلت دونا ولم تصدّق ما سمعته اذناها. ضحكت سيرافينا عندما شاهدت ملامح الاستغراب والدهشة على وجهها، وسألتها بهدوء:

- الا تعجبك صحبته؟

- طبعاً! ولماذا اعترض؟

- ولماذا اذن يبدو عليك مثل هذا الذهول؟

- وهل يقبل هو بمرافقتي لحضور عرس قروي؟

- سيقبل بالتأكيد عندما أطلب منه ذلك. انه يحب هذه الافراح والعادات القديمة لأنها تذكّره كثيراً بصقلية. سيبعد عنك الشبان المزعجين... أنت لست من النوع الذي يحبّ المضايقات أليس كذلك؟

هزّت رأسها ثم استأذنتها بالعودة الى عملها، وهي تكاد تطير فرحاً لأنها ستمضي وقتاً طويلاً وممتعاً مع ريك. وأثناء العشاء، قالت لها سيرافينا:

- بالمناسبة، اقترحت على ريك ان يرافقك الى عرس القرية...

ووافق على ذلك.

وجهت دونا كلمة شكر وحيدة دون ان تنظر الى ريك. كانت تشعر بأنه يغازلها بنظراته... أليس في ذلك خيانة لسيرافينا؟ قالت لنفسها بتحدٍ انها غير متضايقة من ذلك اطلاقاً. انها لا تراه الا نادراً. فلماذا لا يحق له على الأقل ان يداعبها ويغازلها بنظراته؟ وسمعت

سيرافينا تقول له:

- اظهر لدونا قليلاً من الحماسة، يا عزيزي، والا شعرت بانك ستأخذها رغماً عنك.

- صدقيني، يا آنسة، انه سيكون من دواعي سروري واعتزازي ان ارافقك الى الحفلة. سوف يحسدني جميع الرجال والشبان هناك، لأنك ستكونين كوردة بيضاء بين مجموعة الأزهار البرية.

ضحكت سيرافينا وقاطعته قائلة بلهجة ظهر فيها بعض الاستياء:

- اوه، لا تتمادى كثيراً! انك تجعل وجهها يحمرّ خجلاً بهذا الاطراء الصقلي. وردة بيضاء حقاً! اهكذا تعتبرها أيها العزيز؟

- انها بريئة وطاهرة، أليس كذلك؟

جلس امام البيانو وبدأ يعزف بهدوء، ثم أضاف قائلاً:

- أتذكّر صقلية هذه الليلة... وبعض اغانيها التي علّمتني امي عزفها على بيانو احضرته خصيصاً من روما. تطلّب الي بضعة أيام من لمته وتكاليف شحنه، ولكنها ضحكت وقالت انها تريده لولديها...

صمت فجأة وبدأ يعزف لحناً جميلاً شعرت معه دونا برغبة قوية للرقص. اما سيرافينا، فكانت مستلقية بلا حراك على كنبة وتحمل بيدها كوباً من عصير التفاح. وفجأة، وقع الكوب من يدها وراقت محتوياته على فستانها الحريري. هبّت دونا من مكانها وأسرعت نحوها بهدف مساعدتها. تأثرت عندما شاهدت الدموع تتجمّع في عينيها الخضراوين الجميلتين، والضياع والذهول يظهران بوضوح على وجهها.

- هل يمكنني مساعدتك بشيء؟

أحسّت بيد ريك تضغط برفق على كتفها. وقفت جانباً، فيما انحنى قرب سيرافينا ورفعها بيديها... واوقفها قائلاً:

- تعالي، لا حاجة للبكاء.

راقبته دونا وهو يأخذ سيرافينا الباكية من تلك الغرفة. شعرت بحيرة كبيرة، فمن المؤكد أنّ امرأة ناضجة مثل سيرافينا لا تبكي

عندما تريق العصير على فستانها. . . مهما كان الفستان ثميناً وعزيزاً على قلبها؟ هل بكت سيرافينا تأثراً عندما عزف ريك مقطوعة يتذكرها منذ أيام طفولته؟ هل لأنها تعرف عن المأساة في حياته اكثر من اي شخص آخر؟ ام هو سبب معاملته لها قبل لحظات بمثل تلك الرقة والنعومة والحنان، وكأنها طفلة صغيرة شعرت بحزن كبير لأنها لوثت ثوبها وأفسدته نهائياً؟

خرجت دونا الى الشرفة، حيث كان نسيم الليل عابقاً برائحة زهر الليمون والورود الجميلة على انواعها. تأملت السماء الصافية وآلاف النجوم التي تسطع فيها، وراحت تلاحق تلك الطيور الكثيرة التي تحلق في الفضاء بأجنحتها القوية الجميلة. شعرت بانقباض غريب، وتأثر كبير للرقة التي أظهرها ريك عندما أخذ سيرافينا الى خارج الغرفة. كان يطوّق خصرها بذراعه ويضع رأسها على كتفه. . . وكانت بينهما ذكريات مشتركة لا يمكن لها هي أن تتدخل فيها أو ان تصبح جزءاً منها.

اسندت رأسها بهدوء الى حائط الشرفة، فيما ترددت في تفكيرها وفي قلبها انغام تلك المقطوعة الموسيقية الجميلة التي عزفها ريك قبل قليل. احست بالتأكيد انه لن يمكنها ابداً ان تقدم طوعاً على احداث شرخ بين ريك وتلك الممثلة اللامعة المزاجية التي هي جزء من حياته منذ زمن طويل. شعرت أن بينهما مودّة دافئة وعلاقة حميمة سيتقيانها خارجاً. . . وبعيداً. لم تعد تشعر بالدفء والحرارة لأن ريك يحبها ويريدها.

احنت دونا رأسها وهي غارقة في التفكير والتحليل. ربما كان من الأفضل الآ تذهب مع ريك الى عرس اسوتنا، حيث سيكون الجو مشبعاً بالحب والغرام. . . والربط بين قلبين الى الأبد. شمّت رائحة التبغ قبل وصول ريك الى جانبها، فاستدارت نحوه وسألته باهتمام صادق:

ـ كيف حالها الآن؟ هل هي على ما يرام؟

ـ نعم. أعطيت الحبوب المهدئة للأعصاب وذهبت الى سريرها. انها تواجه حالياً مثل هذه الحالات المزعجة، لأنها تقاعدت منذ بعض الوقت ولم يعد لديها شيء، آخر تفعله. ولهذا السبب بالذات اقترحت عليها كتابة مذكراتها عن حياتها في السينما.

ـ هل أنت اقترحت ذلك، يا ريك؟

ـ ولم لا؟ كانت فنانة رائعة. . . وكانت من جوانب عدّة نوعاً نادراً من النساء وشجاعة اكثر بكثير مما تتصورين. يجب ان يتمتّع الانسان بالكثير من الجمال والجاذبية ليضع نفسه في قلوب الناس وعقولهم. ظلّت سيرافينا، النجمة اللامعة والفنانة القديرة، تتربع على عرش هوليوود لفترة طويلة لم يشهد لها عالم السينما مثيلاً. اما الآن، فلم يعد لديها اي متنفس آخر لعاطفتها الجياشة وانفعالاتها الحادة.

ـ لديها انت، يا ريك.

ـ هذا صحيح، يا دونا، ولكنني اعتقد انها تدرك تماماً وجود بعض الفراغ في العلاقة القائمة بيننا. اني اعطيها من نفسي قدر استطاعتي، ولكن ثمة أجزاء مني لا يمكنني ان اعطيها اياها. أقرب من صميم قلبي. . .

توقف فجأة وشعرت دونا انه ابعد نظره عن النجوم واخذ ينظر اليها بشكل جانبي. توترت أعصابها وتمنّت الآ يضع يده عليها! انها متضايقة جداً، وقد تركض بعيداً عنه اذا حاول لمسها. . . أو ان ترمي نفسها عليه وتجده اقل مناعة هذه الليلة من اي وقت مضى. شعرت بأنه يائس مثلها. . . ولكنّ كرامتها لا تسمح لها بإظهار عواطفها له هذه الليلة، لمجرد أنّ سيرافينا اعطيت حبة مهدئة للأعصاب وتغط في نوم عميق. ليس من الخطأ ابداً ان تكون معه. . . وأن تحبه. . . وتحبها، ولكنها شعرت بأنها لن تتمكن من ذلك. . . مخافة أن تفسد تلك العلاقة الرومنطقية والجميلة معه.

حدّقت مرة اخرى بنجوم الليل البرّاقة. . . صافية، رائعة، ويستحيل جرّها الى الأوحال. هكذا تريد حبها ان يكون. . . بعيداً

عن متناول يدها، ولكنه ثابت وأكيد مثل هذه النجوم. عندما أدركت دونا ذلك، شعرت بأنها أصبحت الليلة اكثر نضوجاً ورشداً. وبأن حبها موجود في قلبها اكثر من اي مكان آخر.

أطلقت تنهيدة خفيفة... انها تحب حباً حقيقياً، وليست بحاجة لاثبات عواطفها كي تشعر بوجود هذا الحب. بامكانها ان تنظر الى ريك كما تنظر الى النجوم، وهذا هو أجمل شعور في حياتها.

- لماذا تتنهدين؟

- انها ليلة رائعة... كل ما فيها له معنى وهدف، حتى اصغر الحشرات التي تتنقل بسرعة بين هذه الورود.

- كنت أتصوّر انك ستشعرين بالحزن.

- لا، ابداً. اعتقد اني نضجت فجأة يا ريك. حدث ذلك بدون أن اشعر بتلك الفقاعات السخيفة التي تتحدّث عنها المجلات والقصص. يضج قلبي حياة وادراكاً... اني جزء منك، دون ان تضطر لوضع يدك عليّ.

- اوه، دونا...

- لا، لا تلمسني! هكذا يجب ان يكون الوضع بيننا كي اتمكن من تحمّله. انها العفة والطهارة في الحب، واؤكد لك باني اجدها لذيذة وممتعة.

- لدينا النجوم، فلنترك القمر وحده... اليس كذلك؟

- هل شاهدت ذلك الفيلم ايضاً؟ اذكر تماماً انه ابكاني، ولكني لم اصدّق آنذاك ان شخصين يحبان بعضهما كثيراً ويتمكّنان مع ذلك من الافتراق. ولكن الأمر ممكن، اليس كذلك؟

- اذا كان الشخصان مضطرين لذلك. سآخذك غداً الى العرس القروي، اذا كان بامكانك القيام بتضحية اخرى. أؤكد لك بأن سيرافينا لن تمانع بذلك، لأنها ستكون على ما يرام.

- هل انت متأكد من ذلك يا ريك؟

- طبعاً يجب الأ تغادري ايطاليا قبل حضورك زواجاً ايطالياً

تقليدياً. انه احتفال جميل من جميع جوانبه... دافىء، بسيط، وغير معقّد. يجب ان يكون الحب هكذا... مثل الفاكهة التي تنضج في موسمها، والمطر الذي يهطل على الأرض العطشى. انها العملية الطبيعية، وليست المصطنعة المبنية على فكرة سخيفة تقول، ان الرجل والمرأة متساويان. ريك، هل سمعت قبل برجل يلد طفلاً؟ او امرأة تصمم وتبني بارجة حربية؟ خلقنا لكي نكون مختلفين عن بعضنا... لكل منا أهميته وصفاته المميزة، ويكمل بعض منا البعض الآخر. هنا يكمن الغموض، ومن هنا تنبع الاثارة.

أطلقت دونا ضحكة خفيفة وقالت:

- اوه، ريك، انك متعصب جداً للرجال!

- انك لا تأخذين كلامي على محمل الجدّ. ربما تجدين أفكاري قديمة العهد، متصلّبة وبعيدة عن العادات الحديثة في الحب والحياة!

- لا، يا ريك، اني معجبة بافكارك. انها الافكار المنطقية للرجل الحقيقي، ولا اظنك ابداً من الرجال الذين يريدون النساء قرب اقدامهم... يخلعون لهم احذيتهم ويقبّلون اقدامهم.

- يجعل الجزء الأخير من كلماتك سخرية لاذعة

- ريك!

- ألم يكن الأمر كذلك؟ هيا لندخل!

- دعنا نبق هنا قليلاً نتمتع بهذه النجوم. أوه يا لها من ليلة... يا لها من ليلة رائعة!

- من تعرفين غيري رجلاً حقيقياً، يا دونا؟

- ابي طبعاً. كانت تقوم بيننا علاقة وثيقة جداً، لأنه فقد زوجته وأنا فقدت أمي. كنت صغيرة جداً وبحاجة ماسة لحب الوالدين معاً. انت وانا نشبه بعضنا الى حد ما في هذا المجال، يا ريك.

- صحيح. لدينا اشياء كثيرة متشابهة أهمها الحب. انا ننظر معاً الى النجوم ونعرف انها عيون الجنة. بيننا انجذاب وصلة روحية...

التقطت دونا انفاسها عندما وضع ريك ذراعه حول خصرها. كانت تعتقد ان هناك انجذاباً بينه وبين سيرافينا. ولكن، هل هذا صحيح حقاً؟ هل يكون معها قادراً على الارتياح، يتصرف بصورة طبيعية ويقول كلمات ذات معان عميقة تستمع اليها بانتباه مماثل؟ نظرت اليه فشاهدته يتأمل النجوم ويفكر، هل يفكر بالشيء ذاته يا ترى؟ هل يفكر بانه أمضى معظم حياته يحشق جمال سيرافينا دون ان تكون بينهما اي صلة روحية؟

- نعم، يا عزيزتي، يوجد بيننا انجذاب وصلة روحية، عرفنا هذا الامر تلك الليلة في روما... عندما رقصنا معاً وكان وجهانا مقنعين، ولكن قلبينا لم يكونا كذلك.

- يا للغرابة! لم اشعر طوال حياتي بسعادة تضاهي سعادتي الآن، يا ريك. اني مسرورة جداً لأننا التقينا، وسعيدة اكثر لأنني لن امضي حياتي دون التعرف الى رجل لديه كافة المواصفات التي حددتها لفارس احلامي.

- قد يتشم الكثيرون لدى سماعهم مثل هذه الكلمات. يقولون عني اني رجل قاس جداً لم تعرف الرحمة سبيلاً الى قلبه. قتلت رجلاً في حياتي، يا دونا، مع ان المحكمة وجدت لي مبررات كافية لاطلاق سراحي. أحمل مسدساً لأحمي ممتلكاتي، وقد اضطر استخدامه دفاعاً عنها... أو عن النفس. فأين الفروسية في كل هذا؟

- اعرف انها متأصلة فيك ولا يهمني ماذا يقول الناس او يفكرون.

ضمها الى صدره بسرعة وغرقا معاً في عناق طويل. وفجأة سمعا صوتاً ينادي ريك. جمدا في مكانيهما، وكل منهما يطوق الآخر بذراعيه. ومع انه لم يتركها الا انه ارتعش قليلاً قبل ان يستدير نحو مصدر الصوت. حاول جاهداً اخفاء دونا وراءه وهو يسأل بشيء من الحدة:

- ماذا في الأمر؟ ماذا تريد مني الآن؟

كان صوته قاسياً بعض الشيء، وتبرته عصبية الى حد كبير... كأنه رجل أبعد عنوة عن دفء حلم جميل.

٩- سقوط القناع

لاحظت دونا أنّ الرجل هو أحد العاملين في الاسطبل، ولكنها لم تفهم شيئاً من كلامه لأنها كانت تقف بذهول وتوتر أعصاب شديدين. ردّ عليه بسرعة مماثلة، ثم استدار نحوها وقال لها ان فرسه المفضلة كونتيسا على وشك أن تلد. اقترح عليها ان تذهب الى فراشها لأنه مضطر لمساعدة العمال. وأضاف ممازحاً:

ـ ولدت لأب مزارع، كما تعرفين. مهاراتي متعددة.

بدا الحماس على وجه دونا لأنها تحب كونتيسا وكثيراً ما دلّلتها بمحبة واعجاب. وقالت له بلهفة:

ـ هل يمكنني تقديم المساعدة؟ أعدك بأنني لن أعيق عملك.

بدا عليه التردد لحظة ثم سألها:

ـ هل رأيت قبلا مثل هذه العملية؟ كونتيسا فرس أصيلة، وسيكون هذا أول مهر لها. هل أنت متأكدة من أنك تريدين الحضور؟ ليس في الأمر ما يفزع أو يقزز النفس، ولكنك...

ابتسمت له بدورها وقالت:

ـ أعرف ماذا تعني. أنا فتاة عذراء لا أعرف كثيراً عن حقائق الحياة، أليس كذلك؟

هز كتفيه وقال:

ـ ليس ذلك ما اعنيه تماماً. ولكنك لست فتاة قروية، وقد تشعرين بشيء من الضيق والانقباض. فالفرس كالامرأة... تتألم في مثل هذه الأوقات ولا تظل هادئة ساكنة، وهو أمر طبيعي للغاية، الا انك قد تواجهين بعض الصعوبة في تحمّله.

وضعت يدها على ذراعه وقالت له بحنان ظاهر:

ـ دعني أكنْ معك يا ريك. فالوقت يمرّ بسرعة، وأعرف أنك تعتبر موضوع المهر الجديد أمراً له أهمية خاصة بالنسبة اليك. دعني اشاركك هذه اللحظات الهامة.

ـ عظيم. ولكن اذا قررت أن تفقدي وعيك، فأرجو أن تفعلي ذلك على كومة من القش.

ضحكت مع انها كانت تعرف تماماً أنّ المسألة لن تكون سهلة. وقالت:

ـ شكراً لك، يا ريك لأنك تتصرف على حقيقتك بدون تمثيل ومواربة. وشكراً لك لأنك لا تعاملني كطفلة.

وضع يده برفق على شعرها وقال:

ـ أنت امرأة، يا دونا. هيا بنا. يجب ألاّ نتأخر!

لم تكن الولادة سهلة، ولكن الألم الوحيد الذي حزّ في قلب دونا كان عندما رفست الفرس رجليها بقوة وأصابت بأحد حوافرها الجزء الأعلى من ذراع ريك اليسرى. فتماسكت دونا بعصبية كي تمنع صرختها عندما شاهدت الدماء تسيل من جرحه.

- امسكي برأسها.

أطاعته دونا بدون تردد لأن الفرس كانت تتجاوب معها وتهدأ قليلاً كلما ربتت برقة على جسمها البني الذي يلمع عرقاً. كانت تتألم كثيراً في المراحل الأخيرة، وتبدو وكأنها تنظر الى دونا طلباً للمساعدة. وفجأة سمعت ريك يتنفس الصعداء ويقول لكونتيسا:

- أيتها الفرس الجميلة الرائعة!

أخذ قطعة من القماش وجفف جسم المهر الصغير، فيما كانت الأم تحرك رأسها باعتزاز وسرور بمجرد ان شمت رائحة صغيرها. حمل ريك المهر الجميل ووضعه برفق أمام امه قائلاً:

- ها هو، أيتها الحبيبة. يمكنك الآن تقبيله ومداعبته.

تحركت الفرس بارتياح ظاهر وبدأ لسانها الطويل على الفور مهمته في تنظيف المهر ومداعبته. راقبتها دونا بتأثر لم تشعر معه بأن الدموع تترقرق من عينيها. وعندما استدارت نحو ريك، شاهدته يمسح وجهه ويديه [illegible] شاهدت الجرح [illegible] كانت ريك [illegible] مساعدته، وقال:

- [illegible] ستكون [illegible] لأن [illegible] مناسب. انه مهر جميل للغاية. ومن يدري، فقد يصبح حصان سباق بهذه الأرجل الطويلة القوية.

ابتسم تشيكو بسرور واعتزاز ثم نظر نحو دونا وتحدث ببطء كي تفهمه:

- أعصاب الآنسة قوية جداً.

شكرته دونا على كلمات الاطراء والثناء، ولكنها لم تكن متأكدة مدى تحمّل اعصابها لمنظر الدماء التي تسيل من ذراع ريك. نظرت الى حبيبها، وقالت:

- يجب معالجة جرحك، يا ريك.

- لاحقاً، لاحقاً. يجب اولاً ان نطلق اسماً جميلاً على هذا المهر الرائع. هل تحبين اختيار الاسم المناسب له، يا دونا؟

- هل يمكنني ذلك؟

التمعت عيناها سروراً وهي تنظر الى عينيه، اللتين كانتا تلمعان في اعماقهما سعادة لما قاما به معاً. وشعرت دونا بأنها دخلت الليلة الى قلبه الدافئ، الحنون، الذي تخفيه قساوته الظاهرية عن معظم الناس.

- سأكون سعيداً للغاية لو قبلت بأن تطلقي عليه الاسم المناسب. هل تريدين وقتاً للتفكير بالاسم المطلوب؟

- لا. هل يمكنني تسميته دومينو؟

خيّم الصمت لفترة وجيزة شاهدت خلالها توتراً خفيفاً في ملامح ريك. مدّ يده نحوها وكأنه يريد ملامستها، إلاّ انه اعادها بسرعة الى جانبه واحنى رأسه قليلاً. احسّت دونا انه يتذكر تلك الليلة في روما عندما رقصا معاً في قاعة دومينو. لم تعرف آنذاك انه مرتبط بامرأة أخرى، او ما اذا كانت ستواصل طريقها الى فيللا امبراتوري لو [illegible] أنّ [illegible] تلك المرأة.

- دومينو [illegible]

قال [illegible] الفرس [illegible] رأسها الجميل [illegible]

- هل سمعت يا عزيزتي؟ سيحمل مهرك اسم «ذكرى»، وهذه هي احدى أفضل التسميات.

عادت دموع دونا الى عينيها... ستحتفظ ذاكرتها بأحداث هذه الليلة الى الأبد، لأنها لا يمكن ان تحب ريك اكثر مما تحبه الآن. التفتت اليه وقالت له بصوت غلب عليه التأثر:

- يجب ان تعالج هذا الجرح على الفور. انه ينزف بقوة.

هزّ رأسه وقال بضع كلمات لتشيكو ثم توجها معاً الى البيت. كان هواء الليل منعشاً، والنجوم صافية ومنيرة، والسكون يعمّ المنطقة. ولمّا دخلا القاعة، خلع سترته وقال لها:

- هيا، اذهبي بسرعة الى فراشك. انت متعبة وعيناك شبه مغمضتين، وأنا قادر تماماً على لفّ قطعة قماش حول ذراعي.

- هل تعتقد فعلاً اني سأسمح لك بذلك، دون ان اعتني بالجرح بطريقة مناسبة؟ انك تستحق اكثر من مجرد قطعة قماش، بعد العمل الرائع الذي قمت به الليلة.

- انها ليست المرة الاولى التي اساعد فيها حيواناً صغيراً على المجيء الى هذا العالم، ولن تكون الاخيرة. دومينو، آه! اني مسرور جداً لاختيارك هذا الاسم، لأنني عندما سأنظر اليه بعد ان يصبح حصاناً قوياً رائعاً سوف اتذكر شابة اعطت لحياتي قيمة خاصة ولو لفترة وجيزة من الزمن.

- كانت هذه الليلة ذات اهمية بالغة في حياتي يا ريك. لن انساها ابداً، واشكرك كثيراً لسماحك لي بمشاهدة اطلالة دومينو على هذا العالم.

- الحياة، الولادة، الامومة... كلها امور تحمل في معانيها جمالاً لا يضاهى واهمية لا تقارن. كنت عظيمة مع كوثيسا، هادئة ورقيقة. الحيوانات مخلوقات تحب العطف والحنان، وليس جميع الناس اذكياء او حكماء بما فيه الكفاية لمعرفة ذلك.

شاهدت الشعلة الصغيرة في عينيه، فمارست أقصى درجات ضبط النفس كيلا تقترب منه وترتمي بين ذراعيه. احست بانه يريدها بقدر ما تريده. لم تحلم ابداً في حياتها بمثل هذا الشعور الفياض.

- اعرف يا حبيبتي. اعرف ماذا يجري بيننا، واعرف ايضاً انّ النتيجة الطبيعية لذلك هي ان احتضنك بين ذراعي وأطير بك الى عالمي.

تنهد بقوة وكأنّ خفقان قلبه المتوتر يمنعه من التنفس بسهولة. مدّ ذراعه نحوها فانتبهت مرة اخرى الى الدم وقالت بلهفة:

- دعني أهتمّ بذراعك... دعني أفعل ذلك على الأقل!

- حسناً. اوه، من كان يظن أنّ مثل هذه الكمية الكبيرة من الدم تجري في عروق رجل طاعن في السن مثلي؟

- انك لست طاعناً في السن، يا ريك.

- اني اكبرك بسنوات عديدة، أيتها الصبية.

صعدا الدرج جنباً الى جنب، وعندما وصلا الى الممر استدارت دونا نحو شقتها وهي تقول:

- يوجد في غرفتي حوض لغسل الوجه واليدين، بالاضافة الى مطهر يمنع حدوث الالتهاب.

- غرفتك؟ لست عجوزاً الى هذه الدرجة، يا حبيبتي.

فتحت دونا باب غرفتها وهي تتظاهر بأنّ الامر طبيعي للغاية. الا انها لم تجرؤ على النظر الى عينيه. أشعلت المصابيح الصغيرة... وخفق قلبها بعنف عندما دخل ريك واغلق الباب وراءه. انهما الآن معاً، وعلى انفراد تام، في غرفة نومها. سار بهدوء نحو المقعد الجلدي قرب سريرها وجلس عليه. لم يقل شيئاً وهي تبلل قطعة قماش نظيفة وتحضر ما يلزم لتضميد الجرح. قالت له بصوت حاولت جاهدة ان يظهر وكأنه طبيعي وعادي جداً:

- الافضل ان تخلع قميصك، يا ريك. سوف أغسلها لك.

- كما تقولين، أيتها الممرضة.

سمعته يضحك بهدوء... وعندما استدارت نحوه، كان يخلع قميصه ويكشف صدره القوي وكتفيه العريضتين. خفّ النزف من جرحه العميق، الا ان منظره كان مفزعاً. بدأت تضمد الجرح بعناية بالغة، ولكنها كانت تشعر طوال الوقت بانه ينظر الى شعرها ووجهها. ثم سمعته يقول:

- كان من الأصح ان تكوني ممرضة. لمستك قوية وحازمة ولكنها أيضاً رقيقة وناعمة.

- الجرح عميق جداً، يا ريك، وآمل في الا تتعرض للالتهاب و...

- لا تخافي، فجسمي صلب كالصخر، اني اشكر الظروف لأنّ حافر كوثيسا لم يضرب جسمك الرقيق الناعم.

لم تتمكن دونا من اخفاء ذلك الارتعاش الخفيف الذي حلّ

بجسمها، عندما سمعته يقول تلك الكلمات وشعرت كأنه يناديها بيديه.

التقت العيون فجأة واشتعلت الشرارة كالنار في الفحم.

ـ ريك، كم اشتقت إلى أن أريحك، يا دونا! ريك، كم أريدك!

سيطرت على أعصابها بصعوبة بالغة، وقالت له بتلعثم واضح:

ـ يمكنني... أن... أعدّ إبريقاً من القهوة. إني... إني أشعر بعطش شديد. هل... تريد فنجاناً من القهوة، يا ريك؟

هزّ رأسه موافقاً، فيما كانت تنهي تضميد جرحه وتضيف قائلة:

ـ ها قد انتهينا. كيف تشعر الآن؟

تأملته في وضعه الحالي، فشعرت بأنها ستنهار أمامه. كان عاري الصدر، وذا شعر أسود كثيف، ويحمل في أذنه ذلك الخاتم الصغير الذي كان يلمع تحت ضوء المصابيح. وتعلو وجهه الوسيم القاسي نظرات تحبها وتخاف منها.

ـ إنك تبدو كأحد قراصنة صقلية القدماء!

ـ وأشعر كالقراصنة. لن يكون صعباً عليّ أبداً أن أنقل من طبيعتي الطيبة في هذه اللحظات بالذات، وأبحر إلى لعنات المجهول. يقولون إنها آلام ونار، ولكنها ستكون لي برداً وهناء... أوه، لا، لا!

أبعد وجهه عنها وهو يصرخ بصوت جريح معذب، ثم أضاف قائلاً بحدة:

ـ إني عنيد، ولا سبيل لنا الآن نكون معاً بالطريقة التي تستحقين أن تكوني بها مع الرجل... كتلك الفتاة أسونتا، التي ستقف مع خطيبها الشاب أمام الكاهن وترتبط معه شرعاً مدى الحياة. هكذا فقط يجب أن تفعلي، يا حبيبتي الطيبة!

مقيداً وضعت القميص الملوثة في الماء ونظفت المكان بسرعة، ثم قالت له:

ـ يبدو أننا بحاجة ماسة للقهوة. هل تبقى هنا، يا ريك، أم

أتحضرها لك إلى غرفتك؟

ـ ليس إلى غرفتي.

قالت دونا، فغرفته محرّمة عليها لأنه بالمكان سيراقبها أن تدخلها أو تخرج منها ساعة تشاء... ليلاً أو نهاراً. قالت له إنها ستعود سريعاً، ثم توجهت فوراً إلى المطبخ لتعدّ القهوة لها وبعض الطعام له. وعندما عادت بعد قليل، شاهدته ممدداً على سريرها ويغط في نوم عميق. ابتسمت قليلاً لأنه ليس من الإنصاف إيقاظه الآن ليشرب فنجاناً من قهوتها. كذلك أرادت أن تحتفظ به لنفسها فترة أطول، ما دام أنّ وجوده معها على هذه الحالة لا يضر أحداً. تأملته ملياً وفهمت مدى الصعوبة التي ستواجهها أي امرأة للتخلي عنه.

شعرت برغبة جامحة لكي تدفن وجهها في صدره وتنام قربه، بما أنّ هذا الالتقاء العاطفي لن يدوم أكثر من هذه الليلة. فمجرد الارتياح في غرفتها وجعله يستسلم إلى نوم عميق دون أي تردد أو خوف، أدركت دونا أهمية ذلك، وأحست بأنها امرأة بما فيه الكفاية لترفض القبول بوضعها الحالي... مجرد استراحة في حياته، وإنسانة ضعيفة مضطرة للتخلي عنه لامرأة أخرى. مدّت يدها لتوقظه... ولكنها إذا فعلت ذلك، فإنه سيشرب قهوته ويتركها مع وحدتها مرة أخرى. إنه لها... ما دام نائماً على سريرها. فلماذا لا تبقيه معها ولها أطول فترة ممكنة؟

انسحبت بهدوء إلى القاعة الصغيرة المحاذية لغرفتها، حيث جلست تشرب القهوة الطيبة... وتفكر. ستدعه ينام ويرتاح حتى الفجر، وتذهب إليه عندئذ لتوقظه كي يذهب إلى غرفته. هذا هو الحل السليم، ولكنها متعبة جداً وتشعر بنعاس شديد. لم تكن الكنبة الصغيرة مغرية للنوم، فأنهت قهوتها وعادت إلى غرفتها. ترددت بضع لحظات قبل أن تستلقي قربه بهدوء وروية مخافة إيقاظه أو إزعاجه. وضعت رأسها على الوسادة وابتسمت... سيكونان كلاهما في حالة يرثى لها عندما يستيقظ في الصباح، ويكتشف أنهما ناما معاً

في سرير واحد تكلل هذه العفة والبراءة.

استيقظت دونا فجأة وشعرت على الفور بأن ذراعاً قوية تطوقها. أحست بدفء جسمه، فظلت مستلقية بسرور تنعم بقربها منه. ثم تجمد الدم في عروقها عندما سمعت سيرافينا تقول:

ـ صورتكما معاً على هذا الشكل جميلة جداً... الشعر الأشقر على الصدر الأسمر... كأنكما في مشهد من فيلم عاطفي!

حاولت دونا النهوض، ولكن الذراع القوية شدّت عليها ومنعتها من التحرك وكأنها تقول لها انه مستيقظ... وانه سمع كلمات سيرافينا. جذب ذراعه بهدوء وجلس في السرير قائلاً:

ـ اعرف ماذا تظنين الآن ايتها الخبيثة الا انه لم يحدث بيننا أي شيء على الاطلاق. انت تعرفينني بما فيه الكفاية كي تصدقي بأنني لا يمكن ابداً ان احاول اغراء هذه الفتاة. وخاصة في بيتك!

ـ هل اغرتك حقاً يا ريك؟

جلست دونا في سريرها وأبعدت نفسها عن ريك. انه هنا وها هي الآن، كما في كل آن، تأتي لاعادته الى قربها. ارتجف جسمها عندما حولت سيرافينا عينيها الخضراوين اليها وأخذت تتأملها. لم تقدر دونا على اخفاء شعورها بالذنب. انها هي التي ارتكبت هذا الخطأ... لم توقظه... أرادت ان تنام قربه... أن تنعم بوجوده معها وقربها. وماذا حدث؟ جعلته يبدو أمام سيرافينا رجلاً متهوراً يقفز من سرير الى آخر، مع انه كان دائماً طيباً وشريفاً.

ـ لا تلومي ريك يا سيرافينا. كان متعباً جداً بعد ولادة المهر، فنام على سريري. انا... انا...

ـ هل تحبينه، يا دونا؟

لم يكن هدوؤها متوقعاً. كانت دونا تنتظر غضباً عارماً وأظافر تنقض بوحشية على عينيها. تصورت كل شيء، الا هذا الهدوء في نبرات صوتها. لم يعد بامكانها اخفاء الحقيقة. فقالت:

ـ نعم، يا سيرافينا. اني احبه من صميم قلبي، ولكنني أعرف انه

لك وانه لم يخنك ابداً في أي وقت من الأوقات...

ـ كان ريك دائماً قوياً في مجالات عدّة، بحيث يبدو الرجال الآخرون ضعفاء أمامه.

تنهّدت سيرافينا ثم علت شفتيها ابتسامة خفيفة، وهي تنحني فوقه وتضم وجهه بين يديها... وتقبّله على جبينه. ثم قالت، وكأنها تلقي قنبلة مدمّرة:

ـ كان ريك دائماً أفضل الاشقاء. لولاه، لانتهت حياتي منذ فترة طويلة. ريك، ماذا فعلت بك انا الحبيب الغالي؟ احتفظت بك بكل انانية حقيرة ووضعت رغباتي دوماً في المرتبة الاولى... متجاهلة رغباتك أنت، ومتصوّرة فعلاً أنك كذلك الفارس الحجري الأسود في حديقة منزلي... يمكنك ان تمضي حياتك كلها دونما أي حاجة الى الحب كرجل وليس كأخ! حبيبي ريكاردو، كيف تمكنت طوال هذه الفترة من ألا تكرهني؟

سمعت دونا تلك الكلمات وهي مصابة بذهول لا يصدّق. أطلقت صرخة خفيفة، فاستدار نحوها ريك على الفور وضمّها بقوة الى صدره قائلاً:

ـ انها الحقيقة يا دونا. سيرافينا هي اختي، ولكن ما من أحد خارج هذه الغرفة يعرف ذلك.

نظرت دونا بعينين زائغتين مذعورتين الى سيرافينا، وقالت:

ـ ولكن لماذا؟ اني لا أفهم.

ـ لا يمكن الا لقليل من الناس أن يفهموا ذلك. يجب ان يكونوا من صقلية، وعانوا كما عانيت أنا وريك طوال هذه السنوات، كي يفهموا ذلك. كيف يمكنني ان اخبرك الآن... عن العذاب، والرعب، والرغبة القوية في الموت... التي منعني ريك من تنفيذها! حملني الى الراهبات فاعتنين بي... أتى الاشرار الفاسقون الى المزرعة وقتلوا أمنا ثم اعتدوا عليّ... اعتدوا عليّ، يا دونا!

أبعد ريك ذراعه برفق وحنان عن دونا، وقام نحو اخته بسرعة

ليضمها بعطف وحنان ويضع رأسها على كتفه القوية. لاحظت دونا بوضوح تصرفه مع اخته الجميلة المعاقة. رأته كيف يضمها الى صدرها. كان دائماً يهتم بها ويرعاها . . . وتذكرت دونا بخجل انها لم تشاهده مرة يتصرف معها كرجل أو حبيب. لم يترك سيرافينا، ولكنه نظر الى دونا وقال لها:

- لا احد يعرف أننا رجل وشقيقته، وأنّ سيرافينا كانت في مستهل عمرها ابنة عائلة لورديني التي اعتدى عليها رجال المافيا. تمكنا طوال سنوات من اخفاء هذه الحقيقة، حتى تصل النجمة اللامعة الى ما وصلت من النجاح والشهرة. لم نخبر احداً بذلك، ولم نهتم ابداً بأن بعض الناس يعتبرونني حارسها الخاص ورفيقها الذي يعيش معها بسبب ثروتها. لم تكن هناك ابداً فتاة اجمل من سيرا، وهو الاسم الذي كنا نطلقه عليها آنذاك. أتى أربعة رجال في أحد الأيام الى المزرعة، فيما كنت أصطاد الارانب. ولما عدت، وجدت أمي مقتولة واختي تتمرّغ في الوحل وهي تحاول تنظيف نفسها مما حل بها على أيديهم القذرة المتوحشة. كانوا يقتلونها . . . اختي الحبيبة التي لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها. تمنّت الموت وأرادته بقوة، ولكنها كانت كل ما بقي لدي. حملتها الى الراهبات فاعتنين بها . . . الى أن ولد الصبي!

امتقع لون دونا وصرخت بألم وحزن شديدين:

- رباه! ما هذا؟!

- يعرف انطوني بأنه ابن غير شرعي، ولكنه لا يعرف أنّ اباه هو احد القتلة في عصابة المافيا . . . الذي ثبت دائماً أن يكون الشخص الذي تخلصت منه بالطريقة القديمة، الانتقام والثأر. ثمّ اغتال الثلاثة الآخرين، ولكن الرابع تمكّن من الافلات . . . فأقسمت على ملاحقته وقتله، فعلت ذلك. كنت اعرف انه قتل، حتى قبل ان يهوي ويرتطم رأسه بالأرض. من المتعارف عليه هنا أنّ الثأر ضروري في بعض الحالات. ولكننا نرفض فكرة الاجهاض، وكان

علينا بالتالي ان نقبل بطفل سيرا بالرغم من الطريقة التي فرضت علينا قسراً وعنوة.

تنهّد ريك بأسى بالغ ثم مضى الى القول:

- أننا نعرف منذ زمن بعيد أنه قد تظهر في انطوني صفات لا نحبها . . . ولكن ماذا يمكننا ان نفعل؟ انه ابن اختي، بغض النظر عمّن يكون ابوه او الفساد الذي أورثه إياه.

ابن اخته . . . وفهمت دونا أخيراً لماذا كانت ترى الشبه القوي بينهما. ريك هو شقيق سيرافينا، التي تعيش السنوات الطويلة الماضية بخوف وذعر من اشباح الماضي والذكريات المرعبة. تعلّقت كثيراً بأخيها واعتمدت على قوته واخلاصه، لدرجة انها لم تعد قادرة على الحياة بعيدة عنه. وتذكرت دونا ما قاله لها واقنعها عن ضرورة احترامها للفروسية والتضحية . . . لأنهما اصبحتا نادرتين في هذا العصر المادي الأناني. واذا كانت أحبّت ريك قبل اطّلاعها على هذه الحادثة المروعة وما تلاها من تفاصيل مقلقة، فانها اصبحت الآن تحبه وتعشقه وتحترمه بشكل لا يصدّق. وسمعت فارسها الحبيب يتابع سرده قائلاً:

- بعد ولادة انطوني، اخترعنا قصة زواج سيرافينا من رجل كهل . . . وذلك كيلا تواجه اي مصاعب وهي في صعودها نحو الشهرة. كانت سيرا تريد ان تصبح ممثلة شهيرة، وتمّ لها ما أرادت. كان في ذلك بعض التعويض عن مصابها الأليم.

- وانت يا اخي الحبيب، ماذا حدث لك؟ ومن سيعوّض عليك خسارتك الفادحة؟ كنت انانية للغاية. اعتقدت انه اذا كان بامكاني ان اعيش دون حب، فبامكانك انت ايضاً ان تعيش كناسك متعبّد. اعرف انه مرّت في حياتك علاقات عابرة، ولكنك هذه المرة . . . وجدت ضالتك المنشودة في هذه الشابة الشقراء!

- تفهم دونا الوضع على . . .

- هل تفهمه حقاً؟ لاحظت منذ بعض الوقت ان جاذبية لجميع

بكيا، ولكني تصوّرت أنها ستخفّ تدريجياً وتزول. ولكني شاهدتكما بين أذرع بعضكما، كطفلين ضائعين في غابة. تبيّن لي فوراً أنّ الموضوع جدّي جداً هذه المرة... كنت تطوّق هذه الفتاة الصغيرة وكأنها أغلى شيء في حياتك.

سمعت سيرافينا صوت بكاء تحاول دونا السيطرة عليه، فداعبت وجه شقيقها وقالت:

ـ لقد نلت جائزتك، يا فارسي العظيم. كنت معي أفضل الأشقاء وأحسنهم، واخذت من حياتك سنوات طويلة عندما جعلتك حارساً ضد الذل والذكريات. يجب ان تتزوج دونا وأن ترزقا أطفالاً. قلّة من الناس تعرف مدى الرقة والنعومة اللتين تشتعلان في داخلك. ولكن يجب عليك ألاّ تخفيها بعد الآن، وإلاّ بردتا وانطفأت معها الشعلة الجميلة.

استدارت نحو دونا وطلبت منها الاقتراب، ثم اخذت يدها ووضعتها في يد ريك قائلة:

ـ اني استأمنك شقيقي يا دونا هدسون. احبيه، احبيه بقلبك وجسمك وروحك... لأنه أحد اعظم رجال صقلية.

ضغط ريك على يد دونا بسعادة بالغة، ولكنّ عينيه كانتا تتأملان وجه سيرافينا وملامحها. تذكّر أنه طالبها مرة بحريته، فحاولت اخته قتل نفسها. سألها بهدوء:

ـ هل تقولين لي أنّ بامكاني الزواج من دونا؟ ولكن ماذا ستفعلين أنت، يا سيرا؟

ابتسمت فجأة ثم اخرجت ورقة من جيبها وقالت:

ـ انا ذاهبة الى روما، أيها الحبيب. معي هنا برقية عاجلة من إيليو ريتالدو الذي أخرج قبل عام تقريباً الفيلم المشهور «الفجر الجديد». انه يطلب مني ان اقوم بدور الأم في فيلم بعنوان «العلاقة الحميمة». انا اعرف بماذا تفكر الآن يا ريك، ولكنني أم منذ اكثر من ربع قرن... وسأصبح جدّة عما قريب بإذن الله. سيتزوج اخوتي تلك

الفتاة، حتى ولو كان ذلك رغماً عنه!

تألّمت دونا كثيراً لأن ريك كان يضغط بعنف على يدها. ولكنها تقبّلت الألم بسهولة فائقة، لأنها كانت في قمة سعادتها وذروة سرورها. وسمعته يقول لأخته، بعد أن أكّدت له مراراً بأنها ستعود الى السينما:

ـ اني أريد الزواج من دونا اكثر من أي شيء آخر في حياتي. أحببتها منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها، وسوف تشرّفني كثيراً لو بادلتني الحب.

ـ تشرفك يا ريك؟ اخي العزيز، انا متأكدة من أنّ دونا تعرف انها هي التي تحظى بشرف حبك لها. سأذهب الآن للاتصال بريتالدو... لا تتأخر كثيراً في غرفة دونا، وإلاّ فإن الخدم سيثرثرون.

غادرت الغرفة وكأنها تمثل الدور النهائي في مسرحية عاطفية قديمة. تنهد ريك وقال لحبيبته الشابة:

ـ لا يمكن ان يكون ذلك صحيحاً. ستغيّر رأيها وستبكي، وأنا لم اتمكن أبداً من مقاومة دموعها. اني اريدك يا دونا، اريدك من صميم قلبي! هل تصدقين ذلك؟

ـ بكل جوارحي.

ـ اريد ان اتأكد من ان سيرافينا لم تمثل امامنا قبل قليل أي دور مسرحي. لن اغفر لنفسي ابداً ان احقق سعادتي على حساب تعاستها واحزانها... حاولت قبل الآن ان تنتحر.

ـ أعرف يا ريك. شاهدت آثار الجروح في معصميها.

ـ انك فتاة طيبة وحكيمة. ولا تتقدمين بأي مطالب، مع أنّ لك كل الحق في ذلك. تعرفين أنّي احبك، والى درجة اليأس. بامكانك ان تطالبي بأن اضعك في المرتبة الأولى قبل اختي، ولكنك لا تفعلين ذلك.

رنّت عليه بهدوء وبراءة:

- لم يتعرض جسمي للتمزيق والاعتداء، واحلامي للعذاب والانهيار، مثلما تعرضت سيرافينا. مجرد معرفتي بك امر رائع... وفكرة وجودي بين ذراعيك تطيّر قلبي فرحاً وسروراً. ولكن انا لم يكن بالامكان...

- اريد ان اعرف بالتأكيد.

قفز نحوها ثم رفعها عن السرير وطوقها بين ذراعيه وعانقها طويلاً، ثم قال:

- يجب ان اتحدث مع سيرا على انفراد. ستكونين بخير، أليس كذلك يا حياتي؟

- طبعاً.

ابتسمت له ولكن قلبها كان خائفاً. لا يمكن لسيرافينا ان تفتح لها باب السعادة ثم تغلقه في وجهها... لا يمكنها ان تكون قاسية الى هذه الدرجة. تركها وأغلق الباب وراءه بقوة. رمت بنفسها على السرير وتمددت على [illegible] التي استخدمتها [illegible] على هذه الامور المرعبة [illegible] العلاقة الحقيقية بين ريك وامه.

قررت فجأة الذهاب الى الاسطبل للاطمئنان على كونتيسا ومهرها الجميل. وما ان بدأت بتدليل دومينو الصغير، حتى سمعت صوتاً يناديها. التفتت الى الوراء، فشاهدت ريك واقفاً بقامته الطويلة المشوقة وتعلو وجهه أجمل ابتسامة شاهدتها في حياتها. ركضت نحوه ورمت بنفسها بين ذراعيه، اللتين ضمتاها بقوة وحنان ورفعتاها عن الارض.

- تجمع سيرافينا الآن اغراضها وتوضب حاجياتها. انها ذاهبة الى روما، ويبدو انها متلهفة للغاية.

- ولكن... الن تكون متوترة الاعصاب، يا ريك؟ اعتمدت عليك كثيراً طوال السنوات الماضية و... ولديها ذلك الخوف

الشديد من امكانية... مهاجمتها والاعتداء عليها.

- وعدها رينالدو بارسال طائرة مروحية خاصة بالشركة، ويبدو انهم يستخدمون محترفين حقيقيين لحماية نجومهم. أعتقد انها، بمشاهدتها لنا معاً، شعرت بأنها قادرة على التصرف بمفردها. انها تعرف انني احبك كثيراً، وانني سأضعك في المقام الاول... نعم، يا حياتي، في المقام الاول وقبل اي شخص آخر على الاطلاق. سيرا هي اختي التي احبها كثيراً، ولكنك انت حياتي وروحي ومستقبلي.

- اوه ريك، ريك...

لم تتمكن من ايجاد كلمات تعبّر فيها عن حقيقة مشاعرها، فراحت تعانقه بفرح مجنون.

- سأعدّ الترتيبات اللازمة لنعقد قراننا بسرعة وهدوء، وستحضر [illegible] اسبوعنا كرجل وزوجته.

- هل تحبين ذلك؟

- من كل [illegible]

- [illegible]

[illegible] الافتراق عن بعضنا [illegible]

- سنظل معاً الى الأبد.

ابتسمت [illegible] وتذكرت تلك الليلة التاريخية في روما حيث التقت واحبت فارس احلامها الاسمر... الذي يضع خاتم الثأر والانتقام في [illegible]. لمست الخاتم باصبعها، وهي تعلم ان ريك لن يتمكن ابداً من طرد الذكريات الأليمة والرهيبة من رأسه وقلبه بصورة تامة. ولكنها تعهّدت له بصمت بأنها ستملأ حاضره ومستقبله حباً... وسعادة... وعاطفة.

روايات عبير nlo

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 121

خاتم الانتقام

الاخلاص يجعل الانسان يسير بحياته ومواقفه احياناً الى درجة التضحية بالذات.

دونا الوردة البيضاء، الآتية من بلاد الضباب الى ايطاليا، للعمل كسكرتيرة للممثلة المشهورة سيرافينا نيري، تلتقي في روما رجلاً غامضاً، يعلق في اذنه «خاتم الانتقام» لقبها بسحره الصقلي. . . كلهما عن الأسرار وهي لا تعرف عنه شيئاً حتى [illegible] تقرر [illegible] تكرهه.

ريك لورديتي يعمل حارساً شخصياً للممثلة سيرافينا. مخلص لها لدرجة الموت، ضحى بشبابه من اجل حمايتها. بينهما اسرار لا تستطيع دونا كشفها، علاقتهما غريبة ومشبوهة، حتى ادوني ابن سيرافينا يكره ريك ويخاف منه. تقرر دونا الرحيل والهرب، فهو ليس لها. . . بل لسيرافينا التي تكبله بالسلاسل. لكن ريك يمنعها من الرحيل، وتأتي يد الحب لتنزع الأقنعة. . . ويبزغ فجر جديد على قرارات دونا.

لبنان ٨ ل.ل.	الكويت ٥٠٠ ف	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ٩ ل.س	الامارات ١١ د	تونس ١٢٥٠ د	U.K. £ 1
الأردن ٦٠٠ ف	البحرين ١٢٥٠ د	ليبيا ٨٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٠ ر	المغرب ٩ د	Greece Drs 180
السعودية ٩ ر	عمان [illegible]	[illegible]	Cyprus P 1250